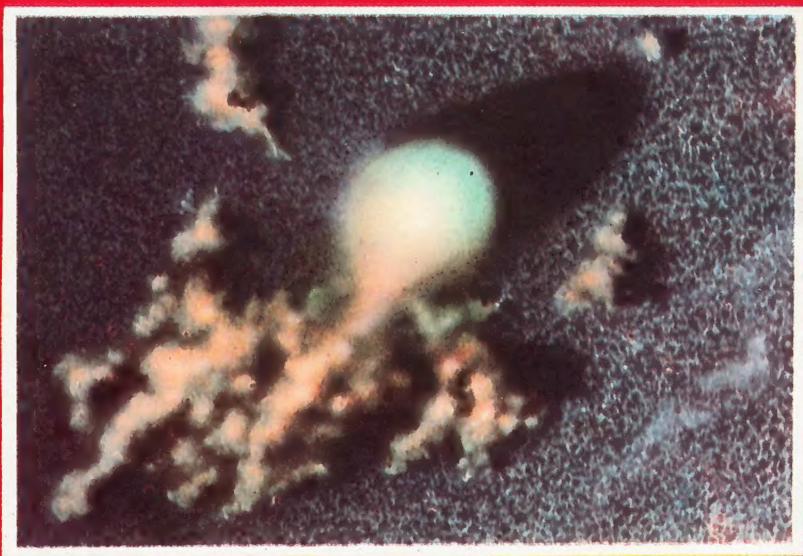


الطب



A.Fedini



المعرفة

ط

طب "الجزء الأول"



تعويذة فينية : طبقاً للاعتقادات التي كانت سائدة عند هذا الشعب القديم ، كانت هذه التعويذات القدرة على طرد الأمراض الخطيرة وجميع أنواع الأخطار

الطب والسحر

لترك عصر ما قبل التاريخ ، ولنستعرض المعرف الطبية التي كانت لدى الشعوب القديمة . ولنبذأ بالمصرىين ، الذين ترجع حضارتهم إلى أكثر من ٣٠٠٠ سنة ق.م. لقد ترك لنا المؤرخ اليونانى هيرودوت Herodotes فى القرن الخامس ق.م. المعلومات التالية : « كان الطب فى مصر موزعاً ، بحيث أن الطبيب الواحد لا يعالج سوى مرض واحد : فكان هناك أطباء للعيون ، وللأسنان ، وللرأس ، وللبطن ... إلخ ». ومعنى ذلك أن مصر كان لديها « إخصائىون » ، وهو تعبر يقصد به الأطباء الذين يعالجون ، بصفة خاصة ، الأمراض التى تصيب أعضاء معينة . وكان الأطباء المصريون يزاولون عمليات البتر ، والتربنة ، وتصفيية انحرارىج ، وخياطة الجروح ؛ وكانوا يستخدمون فى ذلك أدوات من الحديد والبرونز . غير أنه عندما كان ينفى عليهم منشأ بعض العلل ، كانوا يحاولون علاجها بالالتجاء للوصفات السحرية .

وقد كانت لدى الشعوب القديمة الأخرى ، كالأشوريين ، والبابليين ، والصينيين ، والهنود ، معارف طيبة جيدة . وفي نفس الوقت ، وكما كان يفعل المصريون ، كانوا يعلقون اهتماماً كبيراً على الإجراءات

السحرية فى حالة الأمراض الخطيرة . ومن ذلك ، يمكننا أن نستنتج أن الطب والسحر كانا مرتبطين بعضهما ببعضًا لدى الشعوب القديمة . فعندما كانت الأدوية الطبيعية ، التي كانت تقتصر تقريباً على الأعشاب والمراهم ، لا تجدى نفعاً ، كانوا يلجأون إلى الوصفات السحرية .

أيقراط ، أبوالطب

« ترجع جميع الأمراض لأسباب طبيعية ، ولا يمكن أن تكون لها أسباب أخرى ». ترى كيف كان فى استطاعة العقول ، التي

لا تزال مشبعة بالخرافات القديمة ، أن تتقبل مثل هذه العبارة التى قالها اليونانى أىقراط Hippocrates منذ ٢٥٠ سنة !

من السهل علينا أن ندرك معنى هذه الكلمات ، فهي قد استبعدت كل أثر للسحر ، وجعلت من الواضح أن الأمراض يمكن أن تعالج بالأدوية الطبيعية . ولكن كان الأمر فى نفس الوقت يحتاج



تمثال نصفي لأىقراط (المتحف البريطاني بلندن)

« إن الأطباء يصفون أدوية لا يعرفونها ، لإدخالها فى الجسم (الجسم البشرى) ، الذى نقل معروقهم به هو الآخر ». هكذا كان يقول فيولتير Voltaire ، الفيلسوف الفرنسي العظيم ، في القرن الثامن عشر . وهذا التعبير كان مبالغاً فيه ، إذ أن تقدماً عظيماً كان قد أمكن تحقيقه ، سواء في مجال علم التشريح ، أو في مجال علم وظائف الأعضاء . غير أن الطب كان لا يزال أمامه شوط طويل يقطعه ، قبل أن يتمكن من التوصل إلى معرفة أسباب جميع الأمراض ، وطريقة التغلب عليها . وفي ذلك العصر ، لم تكن أمم الطفل الذى يصاب بالدقيريا فرصة ، كبيرة للشفاء . ولو أن فيولتير عاش بعد ذلك بقرنين من الزمان ، أي في أيامنا هذه ، لما تحدث بمثل تلك العبارة . الواقع أن الطب قد حقق تقدماً هائلاً ، لدرجة أن الأمراض التي كان يقال عنها إنها غير قابلة للشفاء ، أصبح عددها اليوم قليلاً ، كما أمكن القضاء على الأمراض الأكثر خطورة ، بفضل الاكتشافات التي توصل إليها بعض كبار العلماء ، والأبحاث الفذة التي قام بها عدد كبير من الأطباء .

وسنحاول فيما يلى ، عرض تاريخ موجز للطب ، لكي نستطيع معرفة الأسماء والإنجازات الخاصة بأولئك الذين خدموا الإنسانية .

ما قبل التاريخ

إن الطب قديم قدم الإنسان . والواقع أن هذا الأخير ، بحكم طبيعته ، معرض للأضرار الجسامية . ونستطيع أن نؤكد أنه استخدم ذكاءه منذ وقت بعيد ، في محاولة التغلب على هذه الأضرار .

كان في استطاعة الإنسان البداف ، أن يجد الدواء للعلل التي يستطيع أن يعرف سببها بسهولة . أما فيما عدا ذلك ، فكان يعتقد أن قوى خارقة الطبيعة ، هي وحدها ، التي تستطيع شفاءها .

ولا يعتقد بأنه الأمراض كان مردها إلى فعل أرواح الشر ، فإنه كان يحاول طرد تلك الأرواح بالوصفات ، والأعمال السحرية ، ثم يدعو بعد ذلك « أرواح الخير » .

الدولـة الـامـرـيـة



أبي سفيان فهو آمن». وبذلك سوى الرسول صلوات الله عليه بين بيت أبي سفيان وبين الله ، وهو شرف عظيم لم ينله أحد مثله، فليس من عجب إذا أسلم كثير منهم ، وأخذوا يعلمون على نشر الإسلام و مد فتوحه . وقد روى معاوية الحديث عن أبي بكر ، و عمر ، و عثمان ، وأخته أم المؤمنين حبيبة بنت أبي سفيان . كما روى عن معاوية من الصحابة ، عبد الله بن عباس ، و معاوية بن حدیج ، و عبد الله بن الزبير ، و مروان بن الحكم ، و سعيد بن المسيب .

معاوية في عهد الخليفة الراشدين

أبى بنو أمية بلاء حسنا في حرب الردة ، و سار بعضهم إلى الشام ، فاشتهر أمرهم ، و عظم ذكرهم ، و منهم يزيد بن أبي سفيان ، الذى ولاه أبو بكر قيادة أحد الجيوش الأربع التي أنفذها لفتح الشام ، و ولاه عمر دمشق ، كاولى أخاه معاوية بعض ولايات بلاد الشام . فلما مات يزيد ، أضاف عمر إلى معاوية ما كان لأخيه . ولما تولى عثمان بن عفان الخلافة ، ولى معاوية الشام كلها ، ثم استقل بهذه البلاد بعد مقتل عثمان . ولما بُيعَ على بن أبي طالب بالخلافة بالمدينة ، امتنع معاوية عن المبايعة له ، متهمًا إياه بالهداوة في أمر عثمان ، وإيوائه قتله في جيشه ، و عدم التصاص منهما . وبابيعه أهل الشام على المطالبة بدم عثمان و محاربته على ، مما أحدث التحالف والشقاق بين أهل العراق وأهل الشام . وقصاري القول ، فإن بيت عبد شمس انتقل من السيادة في الجاهلية ، إلى السيادة في الإسلام .

صفات معاوية

كان معاوية داهية من دهاء العرب ، ومن أوفهم حظا في السياسة ، وصفه مؤرخو العرب فقالوا : « كان معاوية عاقلا في دنياه ، ليبي ، عالما ، حلها ، مالكا ، قويها ، جيد السياسة ، حسن التدبر لأمور الدنيا ، عاقلا ، حكيمها ، فصيحها ، بلغها ، يحلم في موضع الحلم ، ويشتد في موضع الشدة ، إلا أن الحلم كان أغلب عليه . وكان كريما باذلا للمال ، محبا للسياسة ، شغوفا بها . وكان يخينا مضيقا لأشرف رعيته ، فلا يزال أشرف قريش ، يهدون عليه بدمشق ، فيكرم مثواهم ، ويخسر قراهم ، ويقضى حوانجهم ، ولا يزالون يحدوثونه أغاظ الحديث ، وهو يداعبهم تارة ، ويتغافل عنهم أخرى ، ولا يعيدهم إلى مكة أو المدينة إلا بالجواز السنية ، والصلات الجمعة ». قال يوما لقيس بن سعد بن عبادة الأنباري : « يا قيس والله ما كنت أود أن تنكشف الحروب التي كانت بيني وبين على رضي الله عنه ، وأنت حى ». فقال قيس : « والله إنك كنت أكره أن تنكشف تلك الحروب وأنت أمير المؤمنين ». فلم يقل له شيئا ، وهذا من أجمل ما كانوا يخاطبونه به .

ووصفه مؤرخو الفرنجة فقالوا : كان معاوية سياسياً محنكا ، لا يقل في مضمار السياسة

بعد أن قتل الخوارج الإمام علي بينما كان يصل الفجر في مسجد الكوفة سنة ٤٠ هـ ، بایع أهل الكوفة ابنه الإمام الحسن ، ولكن معاوية كان لا يزال يطالب بالخلافة لنفسه ، فرأى الحسن أنه لا يقوى على حربه ، فنزل له عنها حقنا للدعاء المسلمين ، فيوبع معاوية في الشام ، وانتقلت عاصمة الخلافة من الكوفة إلى دمشق ، وكان ذلك آخر العهد بدولة الخلفاء الراشدين .

الأمويون في نظر المسلمين

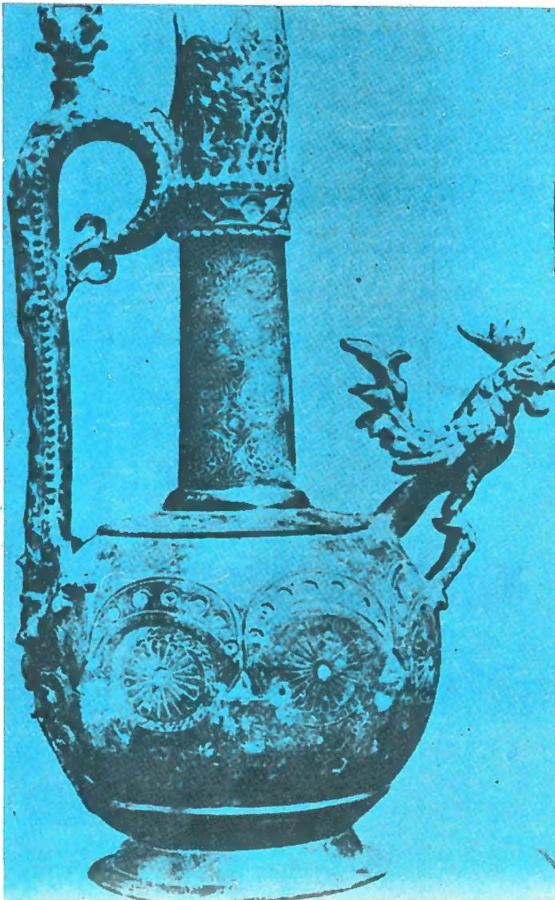
اعتبر المسلمين انتصار بنى أمية ، وعلى رأسهم معاوية ، انتصارا للأستقرارية الوثنية ، التي ناصبت الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه العداء ، والتي جاهدها الرسول حتى قضى عليها ، وصبر معه المسلمين على جهادها و مقاومتها حتى نصرهم الله ، وأقاموا على أنقاضها دعائم الإسلام . ذلك الدين السمح ، الذي جعل الناس سواسية في السراء والضراء ، وأزال سيادة رهط من الناس ، كانوا يحتقرن الفقراء ، ويستذلون الضعفاء ، ويتزرون الأموال . لذلك لا ندشش إذا كره المسلمين بنى أمية وغضرتهم ، وكبريائهم ، وإثارتهم الأحقاد القدية . هذا بالإضافة إلى أن جمهور المسلمين كانوا يرون بين الأمويين رجالا لم يعتنوا بالإسلام إلا سعيا وراء مصالحهم الخاصة . ولا غرو فقد كان معاوية يرمي إلى جعل الخلافة ملكا كسرريا ، ولا أدل على ذلك من قوله « أنا أول الملك » .

معاوية بن أبي سفيان

ينتسب معاوية بن أبي سفيان بن حرب ، مؤسس الدولة الأموية التي دان لها المسلمين قرابة تسعين سنة (٤٠-٦٦٠ هـ)، إلى أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي . وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف . كان أمية من سادات قريش في الجاهلية ، كما كان عمّه هاشم بن عبد مناف ، لهذا لا نعجب إذا تناهى هذان البطنان على رياضة قريش ، مما أدى إلى قيام العداء بينهما في الجاهلية والإسلام . وكان أمية تاجراً كثيراً المال والعيال ، وكان له عشرة من الأولاد ، امتازوا بالشرف والسيادة ، منهم حرب ، وسفيان ، وأبو سفيان . وكان حرب بن أمية قائد قريش يوم الفجear ، كما قاد أبو سفيان قريشاً في حربها ضد النبي ، وهو صاحب العبر القاسم من الشام إلى مكة ، التي وقعت من أجلها غزوة بدر الكبرى . وكان رئيس الجيش النافر وقت زلحفة قريش ، عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس جد معاوية لأمه ، فكان أبوه صاحب العبر ، وجده صاحب التفير ، وبهذا يضرب المثل في قال لخامل (لا في العبر ولا في التفير) ، وقد ولد معاوية بمكة قبل البعثة بخمس سنين .

إسلامه

أسلم معاوية يوم فتح مكة ، هو وأبوه ، وأخوه يزيد ، وأمه هند ، وله من العمر ثلاث وعشرون سنة . وانحذه الرسول صلى الله عليه وسلم كتاباً للوحى . ولما فتحت مكة في السنة الثامنة من الهجرة ، أراد أبو سفيان أن يمنع الأذى والمذلة عن قومه ، وأنهى العباس ذلك إلى الرسول ، فأمر منادياً ينادي بمكة : « من أعمد سيفه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » .



عن ريشيليو ، فقد مكنته معرفته بطائع النعم البشرية ، من أن يحذب إليه الرجال ذوى الآراء العتيدة في جميع الأحزاب المعارضة . وبهذه الصفات ، استطاع أن يكتب جاح المسلمين عامة ، وانلواج خاص ، وأن يسوس الأمة العربية سياسة تدل على الحكمة وحسن التدبير ، وبذلك أصبح خليفة العالم ، وخضع له من أبناء المهاجرين والأنصار ، كل من يعتقد أنه أولى بالخلافة .

وصيته لابته قتيل وفاته

لما مرض معاوية مرض الموت ، أوصى ابنه يزيد وصية تدل على سداد رأيه ، وخبرته بالأمور ، ومعرفته بالرجال ، فقال له : انظر إلى أهل الحجاز ، منهم أصلك وزنك ، فمن أئاك منهم فاكرمه ، ومن قصر عنك فتعاهده . وانظر أهل العراق ، فإن سالوك عزل عامل في كل يوم فاعزله ، فإن عزل عامل واحد أهون من سل مائة ألف سيف ، لا تدرى على من تكون الدائرة . ثم انظر إلى أهل الشام ، فاجعلهم الشعار دون الدثار ، فإن رابك من عدوك ريب فارمه بهم ، ثم اردد أهل الشام إلى بلدكم ، ولا يقيموا في غيره فيتآدوا بغير أدبهم . لست أخاف عليك إلا ثلاثة : الحسين بن علي ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر ، فأما الحسين بن علي فأرجو أن يكفيك الله ، فإنه قتل أباه ، وخذل أخيه . وأما ابن الزبير فإنه خب (أى داهية) ضب ، فإن ظفرت به فقطعه إربا إربا . وأما ابن عمر ، فإنه رجل قد وقده الورع (أى تركه عليهلا) . فخل بينه وبين آخرته ، يخل بينك وبين دنياك . ومات معاوية في شهر رجب سنة ٦٥ هـ .

خلفاء بني أمية

جعل معاوية الخليفة وراثية في بيته ، بعد أن كانت بالانتخاب في قريش في عهد الخلفاء الراشدين ، فخلفه

ابنه يزيد ، الذي بويع بولادة العهد في حياته ، ولكنه لم يحكم إلا بضع سنين ، ارتكب في أثنائها أمورا جساما ، لعل أحدها وأقصاها مقتل الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه . ولما مات يزيد ، اختلف الناس على البيعة ، وكان له ولد اسمه معاوية الثاني ، ولوه وهو يرى أن الخلافة ليست حقا لهم ، فات بعد قليل . ثم بايع بنو أمية شيئاً أمورياً من غير بيت معاوية ، اسمه مروان بن الحكم سنة ٦٥ هـ ، تولى الخلافة بضعة أشهر ومات ، فانحصرت الخلافة في نسله ، وكل خلفاء بنى أمية من بعده في ولده .

عبد الملك بن مروان

تولى عبد الملك الخلافة بعد أبيه سنة ٦٥ هـ ، وإليه يرجع فضل تعریب الدواوین في الممالك الإسلامية ، فقد كانت إلى أيامه تكتب بلغات أهلها ؛ فالديوان المصري كان يكتب باللغة القبطية ، ويتوال أعماله جماعة من أقباط مصر ؛ والشامي كان يكتب باللغة اللاتينية ، وأموره بأيدي أناس من نصارى الشام ؛ والعراقي يكتب باللغة الفارسية . ولا يخفى ما كان لتعریب الدواوین وتسلیم مقاليدها إلى المسلمين ، من أثر عظيم في ثبات أركان وقواعد الدولة الإسلامية ، لأنه جعل اللسان العربي لسانا عاما فيسائر أنحاء الدولة ، وساعد على ذلك أن العربية لغة القرآن . ومن أعمال عبد الملك الهامة كذلك ، ضرب النقود الذهبية باللغة العربية ، كما أمر بأن تكون الكتابة على الطراز (الورق والنسيج) باللغة العربية .

الوليد بن عبد الملك

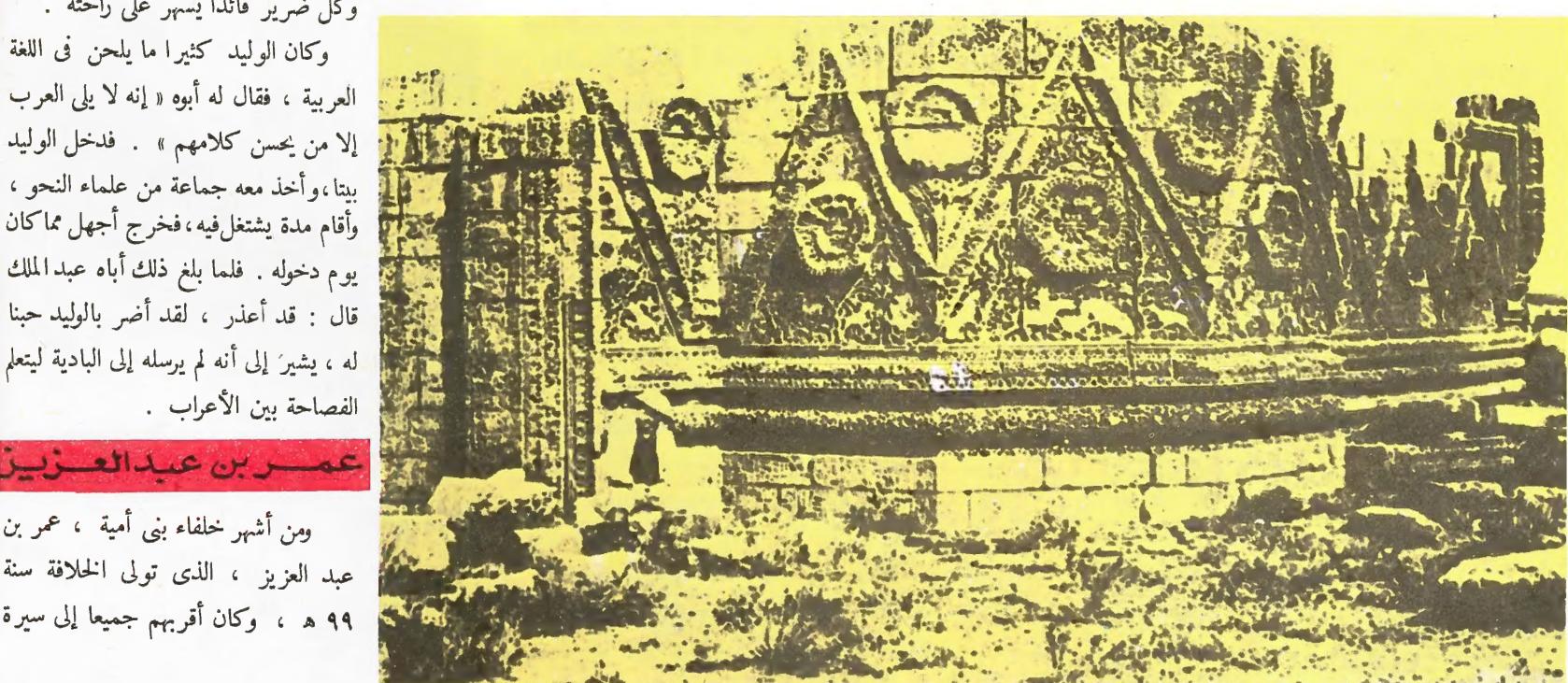
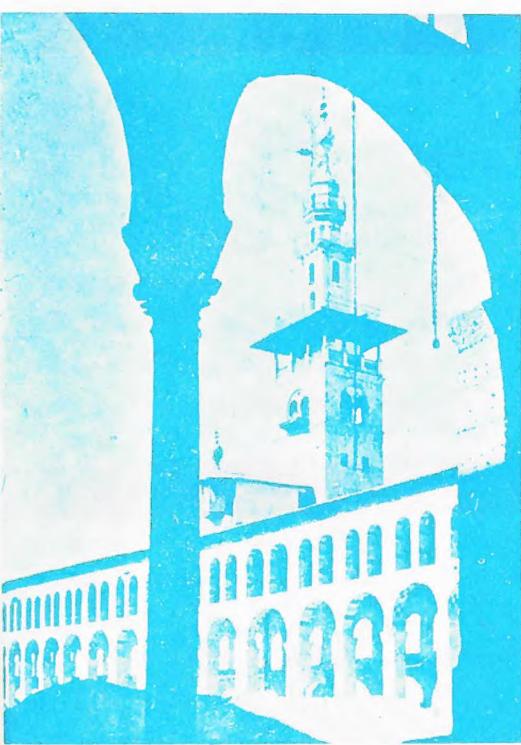
لما مات عبد الملك بن مروان سنة ٨٦ هـ ، خلفه ابنه الذي ظل في الخلافة عشر سنين . وكان عهده عهد فتح ويسر ورخاء ، فاتسعت في أيامه رقعة الدولة الإسلامية شرقاً وغرباً ، كما خفف أعباء الحياة على جمهور

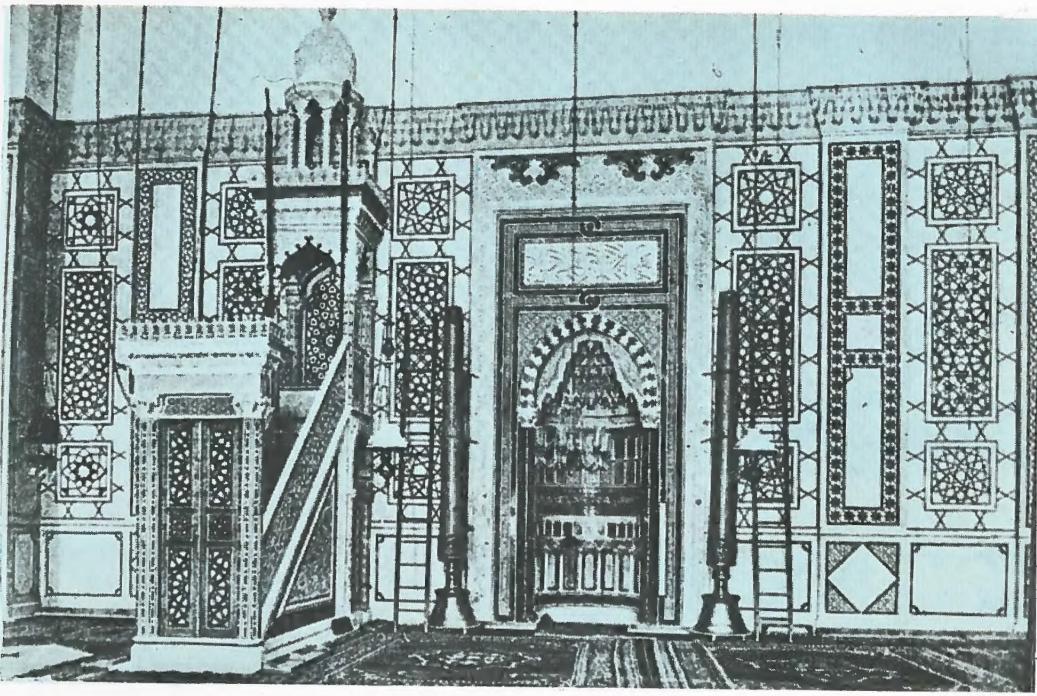
المسلمين بعطفه على الفقراء والمعوزين ، واتهامه بأحوال رعيته ، وسهره على مصالحهم ، وعمله على تخفيف آلام مرضاهم ، وتخفيصه أعطيات للمجندين لمنعهم عن سؤال الناس ، كما أعطى كل مقعد خادماً يهم بأمره ، وكل ضرير قائداً يسهر على راحته .

وكان الوليد كثيراً ما يلحن في اللغة العربية ، فقال له أبوه « إنه لا يلي العرب إلا من يحسن كلامهم ». فدخل الوليد بيته ، وأخذ معه جماعة من علماء التحو ، وأقام مدة يشتغل فيه ، فخرج أجهل مما كان يوم دخوله . فلما بلغ ذلك أباه عبد الملك قال : قد أذرر ، لقد أضر بالوليد حبنا له ، يشير إلى أنه لم يرسله إلى البداية ليتعلم الفصاحة بين الأعراب .

عمر بن عبد العزيز

ومن أشهر خلفاء بنى أمية ، عمر بن عبد العزيز ، الذي تولى الخلافة سنة ٩٩ هـ ، وكان أقربهم جمیعاً إلى سیرة





في سنة ١٢٦ هـ . وقد اشتهر الوليد باللهو ، والخلاء ، والمجون ، كما كان شاعراً مجيداً ، له أشعار حسنة في العتاب ، والغزل ، ووصف الخمر . وتولى بعده يزيد بن الوليد في جمادى الآخرة سنة ١٢٦ هـ ، وتوفي في ذي الحجة من هذه السنة ، بعد أن بقى في الخلافة خمسة أشهر .

وفي صفر سنة ١٢٧ هـ ، بويح مروان بن محمد بالخلافة ، وكان يلقب بالحمار ، لأنه كان لا يجف له ليد في محاربة الخارجين عليه . ولقب الجدعى نسبة إلى موذبه الجعد ابن درهم ، من أصحاب المقالات في الاعتزال ، وكان يكنى أبا عبد الملك ، و Ashton بالشجاعة ، والدهاء ، والمكر . وقد شغل مروان طوال مدة حكمه بإخراج الفتن والثورات ، فلم يلتفت إلى خراسان وما كان يجري فيها من بث الدعوة العباسية ، التي اشتد أمرها ، وعظم خطورها . ولم يلبث أن باعنته الرياحات السود (شعار العباسين) من خراسان ، وطاردته وقضت على جيشه ، ففر إلى مصر ، حيث أدركه عبد الله بن على العباسي ، ثم أخوه صالح بن على الذي قتله سنة ١٣٢ هـ ، وبذلك انتهت الدولة الأموية بقتل آخر خليفة لها .

أسباب سقوط الدولة

كانت الدولة الأموية عربية لها ودما ، ومن ثم تعصب الأمويون للعرب والعربيه ، وأخذوا ينظرون إلى الموالى نظرة الاحتقار والإذراء ، مما أيقظ الفتنة بين المسلمين ، وبعث روح الشعوبية في الإسلام . فلاد عجب إذا أثارت هذه المعاملة حق الموالى ونخفهم على الأمويين ، وأخذوا يتلمسون الفرص للإيقاع بهم ، فانضموا إلى كل الفتن والثورات . ولما نشط دعاة العباسين ، انضموا إلى الدعوة العباسية ليثروا حقوقهم المهمومة . وقد فطن العباسيون إلى ما كان يضمره الموالى لبني أمية ودولتهم من كراهية ، فاستعنوا بهم في نشر الدعوة لهم .

هشام بن عبد الملك

تولى هشام الخلافة بعد موت أخيه يزيد ، وكان غزير العقل ، عفيفاً ، اشتهر بالتدبر وحسن السياسة ، حتى قيل إن السواس من بنى أمية ثلاثة : « معاوية ، وعبد الملك ، وهشام » . ويقال إن أبا جعفر المنصور ، الخليفة العباسي ، كان يقتدى بهشام في أكثر أموره ، وفي سياساته وتدبره أموره . وقد قام هشام بكثير من الإصلاحات ، منها اهتمامه بتعمير الأراضي ، وتقوية النغور ، وحرف الترع ، وتطهير الجسور ، وتمهيد الطريق إلى مكة . كما ازدهرت في أيامه الصناعات والحرف ، وخاصة صناعة الخزف والنسيج . وكان هشام كلها بالخيل ، وهو أول من أقام لها حلبات من الخلفاء ، كما عنى بعدد الحرب وآلاتها .

وما يؤخذ على هشام ، إمعانه في الانتقام من العلوين والتوكيل بهم ، كلما أمعنته الفرصة . هذا إلى ما عرف عنه من الغلطة ، وخشونة الطبع ، وشدة البخل ، وما يقال في بخله إن رجالاً أهدى إليه طائرين فأعجب بهما ، فقال له الرجل أين جائزني يا أمير المؤمنين ؟ فقال له هشام : وما جائزة طائرين ؟ قال ما شاء أمير المؤمنين . قال : خذ أحدهما ، فقصد الرجل لأحسنهما فأخذه فقال له : وتخثار أيضاً ؟ قال : نعم ، والله اختار . فقال : دعه ، وأمر له بدريمات . ويقال إن هشاما دخل بستانه له ومعه ندماؤه فطاووا به ، وبه كل الثمار ، فجعلوا يأكلون ويقولون : بارك الله لأمير المؤمنين . فقال هشام : وكيف يبارك لي فيه وأنتم تأكلونه ؟ ثم نادى حارسه فقال له أقلم شجره واغرس فيه زيتونا ، حتى لا يأكل منه أحد شيئاً .

مروان بن محمد

لما توفي هشام بن عبد الملك سنة ١٢٥ هـ ، تولى بعده الخلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ولم يبق في الخلافة غير ستة وشهرين وأيام ، حيث قتل بقرية من قرى دمشق

الخلفاء الراشدين ، ولعله كان كذلك لقرباته من عمر بن الخطاب ، لأنه ابن حفيده . فلما تولى الخلافة ، جعل جده عمر قسوته بالزهد والعدل . وكان بنو أمية ، منذ جاهروا بطلب الخلافة ، فرضوا لعن على المنابر ، فرأى عمر أن ذلك لا يوافق روح الإسلام ، فأمر بإبطاله ، فلم تقع أعماله هذه موقعاً حسناً لدى بنى أمية ، خاصة وأنه قد منعهم من اقتناة الأموال ، وكان عمر بن عبد العزيز نهاهم عن ذلك فلم يسمعوا . فلما أعاد عمر بن عبد العزيز هذا الطلب مرة أخرى ، خافوا إذا طال حكمه أن تخرب الخلافة منهم ، فعملوا على التخلص منه .

يزيد بن عبد الملك

تولى الخلافة بعد عمر ابن أخيه يزيد سنة ١٠١ هـ ، وكان من أهل اللهو ، والنصر ، والغناء ، فشغل عن مصالح المسلمين بخاريتين (سلامة) و(حبابة) . وتسلط الأخيرة على عقله وقلبه ، فأصبحت المملكة طوع إرادتها ، تولى من تشاء ، وتعزل من تشاء . فلامه أخوه مسلمة وقال له « توليت هذا الأمر (أي الخلافة) بعد عمر بن عبد العزيز وعدله ، فتشغلت بهذه الجارية عن النظر في الأمور ، والرقد ببابك ، وأصحاب الظلمات يصيرون ، وأنت غافل عنهم ». فتأثر لقوله وأجاب « صدقت » ، وهم بترك الشرب ولم يكتسب مجابة أياماً . فاشتاقت هي له ، فلما كان يوم الجمعة ، قالت بعض جواريها « إن خرج أمير المؤمنين إلى الصلاة فاعلميني » . فلما أراد الخروج أعلمها فلتقته والعود في يدها وغنت

ألا لا تلمه اليوم أن يتبلدا

فقد غلب المحزون أن يتجلدا

فقطي يزيد وجهه ، وقال « مه لا تفعل ». ثم غنت :

فما العيش إلا ما تلذ وتشتهي

وإن لام فيه ذو الشنان وفندنا

فلم يتقاكم أن عدل إليها وقال « صدقت والله ، قبح الله من لامني فيك ، يا غلام مر مسلمة أن يصلى بالناس ». وأقام معها يشرب وتعنيه ، وعاد إلى ما كان عليه .

وما يزال يزيد في ذلك حتى مات بعد موتها حزناً عليها . وقصة موتها ، أنه نزل بقصر (مشتي) ببادية الشام ، وعده حبابة ، وقال في نفسه « زعموا أنه لا تصفو عيشة لأحد يوماً إلى الليل ، ألا يذكرها شيء عليه وسأجرب ذلك ». ثم قال لمن معه « إذا كان غد ، فلا تخبروني بشيء ولا تأتوني بكتاب ». وخلا هو وحبابة وأتيا بما يأكلان ويشربان . فأكلت حبابة عنقود عنبر فشرقت بحبة منه فماتت . فأقام يزيد ثلاثة أيام لا يدفتها حتى تغيرت وأنتنت ، وحتى عابه أهله ، فأذن بدفتها ، ولم يعش بعدها إلا خمسة عشر يوماً ، ومات ودفن إلى جنبها سنة ١٠٥ هـ .

مدن فرنسا الكبرى

فرنسا أمة من القرى والمدن الصغرى . وبينما توجد في إنجلترا مدينتان هما لندن وبرمنجهام ، يزيد عدد سكان كل منها على مليون نسمة ، ومدينتان بكل منها مليون نسمة ، هما ليفرپول ومانشستر ، فإن فرنسا ، وعدد سكانها يزيد قليلاً على عدد سكان إنجلترا ، ليس بها سوى مدينة واحدة هي باريس ، يزيد عدد سكانها على المليون نسمة ، أما باقية المدن الأخرى فأقل من ذلك . فكيف حدث هذا ؟

كانت مساحة فرنسا ، يادئ ذي بدء ، قدر مساحة إنجلترا أربع مرات ، قليلة السكان (٢٠١ شخص للميل المربع) ، بينما في إنجلترا ٨١٨ شخصاً للميل المربع) ، ومعظم الأرض صالحة للسكنى ، وخصبة . فالناس تناه طم الفرصة للانتشار ، بينما هم يتكدسون في مدن إنجلترا ، في مناطقها الصناعية الكثيفة . كما أن الزراعة متقدمة جداً في فرنسا ، ويعيش معظم الناس في الريف .

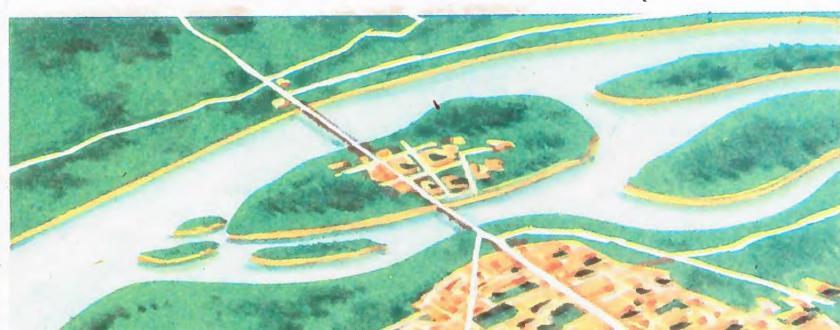
وقد استطاعت باريس ، التي وطدت أقدامها عاصمة لفرنسا منذ القرن العاشر الميلادي ، أن تجذب إليها (ثمن) سكان فرنسا بأسرها . وهذه المدينة هي قلب فرنسا التجاري والثقافي ، ومركز مواصلات غرب أوروبا . كما أنها أهم ميناء نهرية في فرنسا . وأخيراً فهي قريبة المتناول لمن يعيش في الريف ، إذ أن الطرق المعبدة ، والسكك الحديدية السريعة ، تصلها من كل مكان . ولا يود أحد أن يتحرك إلى مكان مزدحم كثير الضوضاء ، معيناً بالجلوس الصناعي .



يتين المرء عند النظر إلى خريطة فرنسا ، أن المدن الفرنسية تقع على الأنهار (وكلها صالح لللاحقة تقريباً) أو على قنوات ، ومن ثم ثبت هذه المدن كنتيجة المواصلات الجيدة والتجارة



تأسست باريس عام ٤٣ ق . م . في موقع عند مخاضة ، ثم جسر يعبر نهر السين على الطريق التجاري القديم ، الذي يؤدي إلى أوروبا الشمالية . وكان اسمها Seine Lutetia Parisiorum (مدينة الباريسين Parisii ، وهو أول قبائل سكنت هذه المنطقة) . ثم ثبتت المدينة فوق جزيرة صغيرة في وسط النهر (إيل ديلا سيتية . (Ile de la Cite)



شكل باريس وقت إنشائها



يبلغ طول باريس نحو ١٩,٢ كيلو متر ، وهي شاسدة تبلغ مساحة المقاطعة ، ويسكنها ٢,٦٠٧,٦٢٥ نسمة . ولكن إذا أضفت إليها الضواحي الجديدة ، فإنها تصبح نحو ١٩٦,١٩٦ نسمة . وهي مدينة صناعية كبيرة ، وتعتبر واحدة من أعظم موانئ أوروبا أهمية ، رغم أنها تبعد عن البحر بحوالي ١٥٠ كيلو متر . ونهر السين بين باريس والبحر صالح لللاحقة ، وتستطيع السفن متوسطة الحجم أن تصعد النهر إليها .

مارسيليا ، المدينة الثانية

في عام 600 ق. م.، أُسّست جماعة من التجار والفالحين من مدينة فوكاية Focea الإغريقية، مستعمرة على خليج كبير في الساحل الجنوبي لبلاد الغال Gaul (كما كانت تعرف فرنسا وقتذاك) . وكانت الجماعة الفوكية هذه قد استولت على الخليج والمرفأ الطبيعي ، وأُسّست مستعمرتها ماسيليا Massilia . وقد أصبحت ماسيليا الآن تعرف باسم مرسيليا Marseilles ، ثانية مدن فرنسا وميناؤها الرئيسي (893,771 نسمة) . وهي تتنافس ميناءً معها، الذي لا يبعد عنها أكثر من 400 كيلومتر .

ليون ، المدينة المنافسة

يعرف كل امرئ في فرنسا قصة المنافسة بين باريس وليون Lyons . فهذه الأخيرة تقع أيضاً على نهر الرون Rhône ، وعلى الطريق التجاري الرئيسي الذي يربط إيطاليا وسويسرا بشمال فرنسا . وكانت ليون في التاريخ القديم ، العاصمة التقليدية للغاليين Gauls ، وكان اسمها لوجدونوم Lugdunum ، ثم أصبحت أثناء الفتح الروماني ، عاصمة لولاية غاليا لوجدونيسيس Gallia Lugdunensis أو ليونيز Lyonese . وكانت باريس في تلك الأيام بلدة صغيرة على ضفاف السين ، يؤمها البحارة . ثم أصبحت بعد ذلك ، في العصور الوسطى ، أهم مركز تجاري في فرنسا . وقد افتتح تجار ميلانو وجنوا في القرن الخامس الميلادي ، في هذه المدينة ، مصانع لغزل ونسج الحرير ، وبذلك أصبحت ليون أهم مركز لإنتاج وتجارة الحرير في أوروبا . ويسكنها الآن 535,000 نسمة ، وهي ثالثة مدن فرنسا .

بوردو المدينة الكاملة

هناك مثل فرنسي يقول : باريس مقاطعة ، وفرساي Versailles قلعة (إذ نمت حول القصر الملكي الرائع) ، أما بوردو Bordeaux فهي المدينة الكاملة . وتقع بوردو حيث يصب نهر الجارون Garonne في مصب خليجي في المحيط الأطلسي . وكان من حسن طالعها ، أن تقع على الطريق الرئيسي المؤدي من شمال فرنسا إلى جاسكونيا Gascony وأسبانيا ، حيث يسهل الاتصال بحركة الملاحة البحرية . وهي مدينة جميلة معتمى بها ، يسكنها 270,996 نسمة .

مدن أخرى

تولوز Toulouse (380,340 نسمة) . احتلها الرومان عام 118 ق. م. وكانت جزءاً من بلاد الغال النازاروبونية Narbonne Gaul ، نسبة إلى مدينة ناربون . ثم أصبحت عاصمة القوط الغربيين Visigoths ، وهي الآن على تقاطع تربط البحر المتوسط بالخليط الأطلسي . وهي مدينة تجارية كبيرة .

نيس Nice (325,400 نسمة) . وكانت من أوائل المدن التي احتلها الرومان ، إذ أنها تقع على الطريق المؤدي إلى إسبانيا . وكانتتابعة لإيطاليا مدة قرون قليلة . وهي مكان ممتاز للإنتاج ، بحكم موقعها الممتاز ، وجمال بيئتها ، وطيب مناخها .

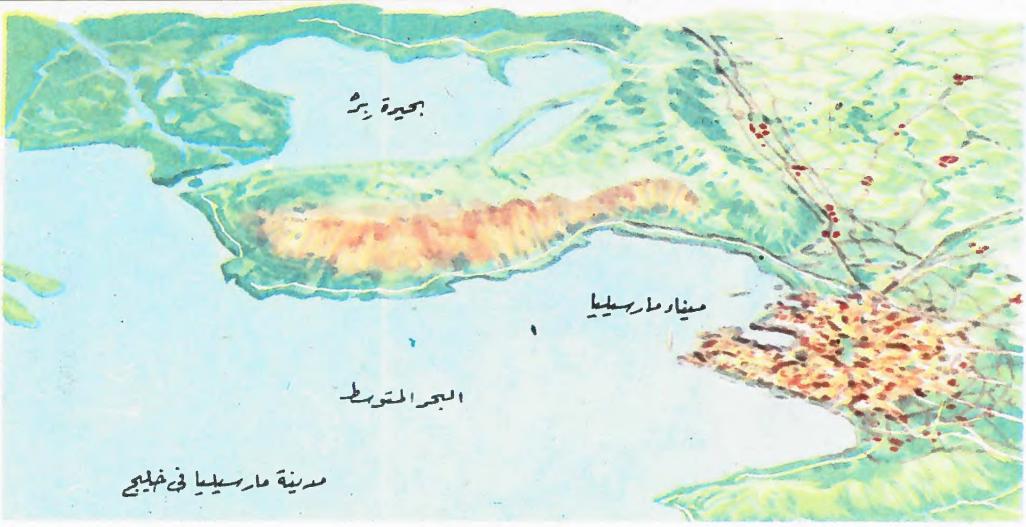
أما نانت Nantes (265,000 نسمة) فكانت مدينة قبيلة الثامنت Namnetes . وتقع عند التقائه نهر اللوار بالطرق القادمة من بريتاني Brittany إلى جنوب فرنسا . وهي أيضاً تقع حيث يتسع نهر اللوار Loire في مصب خليج كبير ، ومن ثم كانت ميناً للتجارة وصيد الأسماك .

وتقع ستراسبورج Strasbourg (254,038 نسمة) على نهر الراين ، وتعمل في التجارة . أما ليل Lille (194,948 نسمة) ، فهي مدينة ترانزيت قديمة على نهر ديوول Deûle . وكانت قلعة رومانية ، واسمها مشتق من L'isle بمعنى جزيرة ، إذ كانت تقع عند التقائه نهرين ، فيما يشبه الجزيرة ، وهي الآن مدينة صناعية كبيرة .

ومدينة سانت إتيان Saint-Etienne (216,020 نسمة) مشهورة بصناعاتها ، ومصانعها ، وفحمها .

ومدينة الهافر Le Havre (200,940 نسمة) ثالث ميناء في فرنسا .

ومدينة نانسي Nancy (127,826 نسمة) تستخرج الحديد ، وتصنعته .



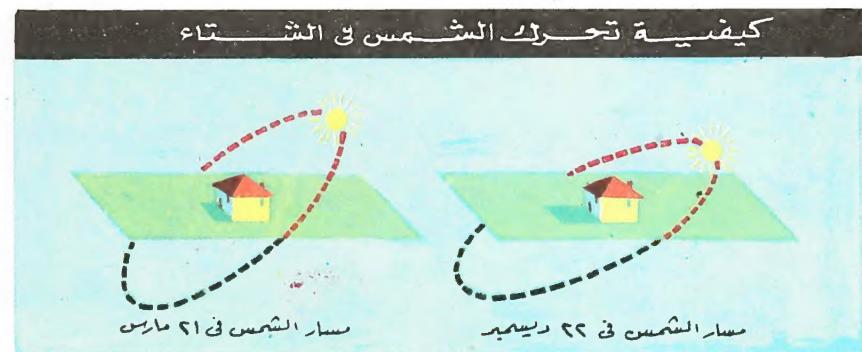
وتنقسم فرنسا إدارياً إلى أقسام Départments تسمى بأسماء أنهارها ، وهذه تقسم بدورها إلى نواحي Arrondissements ، التي تنقسم بدورها أيضاً إلى أحياe Comunes . ورغم هذا فلا تزال أسماء المقاطعات التاريخية باقية (مثل بروفانس Provence ، وجاسكونيا Gascony ، وبورجندية Burgundy ، ونورماندي Normandy) .



الشتاء

وفي أوروبا ، على الرغم من أن الفلاح يكمل ويعلم أكثر مما يمكن في الموسم الدافئ أثناء العام ، إلا أنه يلقى عليه عبء كبير في الشتاء ، فهناك جانب كبير من التنسيق والتنظيم يتبع خلال تلك الفترة ، إذ تقطع أسوار النبات وتقطم ، كما تنطفل الحفر والمجاري لتصرف المياه ، حتى تحول دون طغيان المياه على الأرض بالفيضان . وتقليم أشجار الفواكه ، يمثل ناحية كبيرة من العمل الشتوي ، وبالمثل زرع الأشجار الحديثة أو الصغيرة ، عندما يتطلب الأمر إنشاء بستان جديد ، وتحصص معظم المحاصيل في الصيف أو الخريف ، ولكن هناك قدرًا قليلاً منها يجمع خلال الشتاء ، وأهمها الكرنب والكرات أبو شوشة .

في الشتاء ، تصبح غابات البلاد المعتدلة والباردة ، عارية من خضر الربيع والصيف الحية ، وألوان الخريف المشتعلة بلون الحمرة والصفار . ومهما يكن من شيء ، فإنه يسهل السير والتجلو فيها ، بسبب موت ما كان نامياً على أديمها تحت الشجر . وفي كثير من بقاع العالم ، يخرج أهل الريف لجمع العصى لإشعال نيرانهم .



وعلى الرغم من أننا نعتبر الشتاء (في نصف الكرة الشمالي) يمتد من أوائل ديسمبر إلى نهاية فبراير ، إلا أنه يبدأ رسمياً من ٢١ ديسمبر ، وينتهي في ٢٢ مارس . ولقد تم اختيار هذين اليومين ، لأن ٢٢ ديسمبر هو أقصر نهار على مر العام (ويعرف باسم الانقلاب الشتوي) ، كما أن ٢١ مارس هو الاعتدال الربيعي ، حيث يتساوى طول كل من الليل والنهار .

وفي ٢٢ ديسمبر ، تشرق الشمس متأخرة ، وتغرب مبكرة ، أكثر من أي يوم آخر في السنة ، وكذلك تصل إلى أقل ارتفاع فوق الأفق عند انتصاف النهار . وينتج عن قصر طول النهار ، وعن الزوايا الصغيرة التي تسقط بها أشعة الشمس على سطح الأرض ، أن يصبح فصل الشتاء هو الموسم البارد في السنة .



وكما أجهنا صوب الشمال ، كلما قصر طول النهار ، وزداد الجو برودة ، حتى إنه في المنطقة المتجمدة الشماليّة Arctic Region تجد قرفة من الزمان ، حول متصف الشتاء ، لا ترتفع خلالها الشمس فوق الأفق على الإطلاق .

كان الشتاء مصدر شدة وضيق لمَن يعيشون في أجواء المناطق الشالية والمعتدلة . وكانت البيوت تجتاحها تيارات الهواء ، وردية التدفئة ، كما عانى أهلوها أشد المعاناة من انعدام الطعام الجيد . ويرجع السبب الأساسي في ذلك كله ، إلى عدم معرفة الناس بطريقة تخزين الطعام للماشية خلال الشتاء ، وعلى ذلك أصبحت معظم الماشي تذبذب في الخريف ، وتعلّم لحومها . وكان غذاء الفلاحين الشتوي المكون من الخبز والمعملح ، رديتاً وضاراً بالصحة .

وفي عصرنا الحال ، وعلى الرغم من أن معظمنا يفضل الصيف على الشتاء ، فإن الموسم البارد لا يهدى صحتنا ، أو يعيق راحتنا . وهناك العديد من الناس يستمتعون ب特خصية فترة الشتاء في لعب كرة القدم ، والهوكي ، والانزلاق على الجليد Skating أكثر من الصيف ، ويتذمرون من عيد الميلاد ورأس السنة ، فرصة لشربائهم الشخصية التقليدية .

ويشير الانزلاق على الجليد نقطة هامة ، في إنجلترا اليوم ، قلما يظل الجليد مدة طويلة ، وقلما يكون قاسياً شديداً . ولكن عندما كان الأجداد فيها أطفالاً ، كانوا ينزلون على الجليد كل شتاء . وفي الواقع ، حدث تغير في المناخ خلال الخمسين إلى السبعين سنة الأخيرة ، وصار الشتاء أقل قسوة الآن ، مما كان عليه في ابتداء هذا القرن .



الحصول عليها وإنزاجها من وسط الثلوج . ولا يحدث ذلك كثيرا في جنوب إجلترا .
إلا أنه من أخطار الشتاء المتكررة الحدوث في بعض أجزاء سكوتلند .
ويختلف العمل الشتوي في المزرعة من مكان إلى مكان آخر ، وعلى وجه الخصوص من إقليم إلى آخر . ففي جنوب أوروبا ، يتم معظم الحرف في الشتاء ، كما أن المنتجات التي على غرار النبيذ وزيت الزيتون ، يجب أن تصب في الأواني وتغص . وبين الصورة العليا منظر شتوي في مزرعة بإيطاليا .

وفي الشتاء ، يتوفّر العمل في المزارع التي تكثر فيها الأغنام والماشية ، تماما كما تتوفر في أي وقت آخر من العام . إذ لا يوجد أثناء الشتاء قدر من الحشائش يمكن للحيوانات التي في الحقول ، ومن اللازم تغذيتها من أطعمة مخزونة مثل الشعير ، والعلف ونحوها ، مما يجب أن يحمل إليها * . وكثيرا ما تم الحفاظ على قطعان البقر المدر للبن ، كما تم تغذيتها وهي مغطاة تماما . ويعاني رعاة الأغنام كثيرا في موسم الشتاء ، خصوصا عند تساقط الثلوج الغزير . وقد يحدث أحيانا أن تدفن الأغنام تماما في الثلوج ، ويكون على الراعي وكلبه وظيفة

النباتات في الشتاء

معظم النباتات إما أن تموت ، وإما أن تفقد أوراقها ، وإما على أية حال ، يقف نموها في الشتاء ، ومعظم الفاكهة مصدرها البلاد الدافئة ، ومع ذلك فهناك بعض النباتات تزهر في الشتاء ، وبين الأشكال هنا ثلاثة منها .



التنفس . ومن بين الحيوانات التي تخضع لظاهرة البيات الشتوي انخفاض وفقدان .

فترة الشتاء في الشرق العربي هي بصفة عامة من أول ديسمبر إلى آخر فبراير . وهذا هو الموسم المطر ، خصوصا عندما تولد انخفاضات جوية فوق شرق البحر المتوسط (قبرص) ، التي يغذيها الهواء البارد المقلوب من شرق أوروبا أو سيبيريا أحيانا . ولا يهطل الثلوج إلا نادرا جدا في أقصى الشمال ، وإنما الذي يتكون هو البرد . وتقل مقدار المطر عموماً بالبعد عن شواطئ البحار . وكثيرا ما تقبل أمواج البرد المصاحبة لتولد انخفاضات قبرص الجوية ، ويتألف الصقيع المخاصيل والخلضر في المزارع . ومن اللازم التنبه لها ، وإنجذاب الاحتياطات الوقائية التي تقلل من الضرر .

الحيوانات في الشتاء

في الشتاء تقاسي الحيوانات غير الألifie الأمررين ، وكثير منها يقدم في غير خوف على البحث عن الطعام . ففي سكوتلند يجيء الغزال من الغابات ، ويبيق في الحدائق باحثا عن الغذاء ، وكثيرا ما يقبل الناس على إطعامها من باب الرحمة والشفقة . وتصبح الذئاب خطيرة في الشتاء ، كما تغير العمال على المزارع . وفي أقصى الشمال ، تغير بعض الحيوانات لونها بتغير الفصول ، وينمو لها كساء أبيض من الفرو في الشتاء ، حتى إنه لا يمكن رؤيتها بسهولة وسط الثلوج . وتنام بعض الحيوانات الأخرى ، خصوصا تلك التي تتغدى على الحشرات ، طوال فترة الشتاء . وتسمى هذه الظاهرة باسم البيات الشتوي Hibernation ، وفيها تهبط درجة حرارة الحيوان ، كما تبطئ ضربات القلب و معدل

* في مصر يوجد البرسيم خير طعام للماشية في الشتاء ، يجعلها تدر أغزر وأجود أنواع اللبن .



تغلب وقاوم في الشتاء .
أثناء الصيف يكون
القاوم نفس لون التغلب
تقريباً (يختلف مقياس
الرسم للحيوانين)

الأدوات الحادة من الخشب

واستعمالنا لخشب اليوم يفوق استعمالنا له في أي وقت مضى . فالغابات الطبيعية تختفي بما تقدمه من ملايين الأشجار إلى مصانع الخشب واللب . وقد أصبح لعلم الغابات أهمية بالغة . وفيما يلي بعض أنواع الخشب التي يهمنا التعرف عليها .

نحن نعتبر أنفسنا أتنا نعيش في عصر الصلب ، وبعض الناس يقولون إننا ننتقل إلى عصر البلاستيك Plastics ، وأن الخشب قد أصبح « موضة » قديمة ، وأننا سرعان ما سلستغى عنه . ولكن ذلك أبعد ما يكون عن الحقيقة ، في المستقبل القريب على أية حال .

البلوط Oak : له ألياف مستقيمة متساوية ، وهو متين جداً ، ويقاوم التعفن Decay في جميع الظروف . وكان فيما مضى مهمًا في بناء السفن ، ويستعمل الآن في الأشغال الإنسانية ، وفي صناعة الأثاث .

الكستناء Chestnut : يشبه البلوط في مظهره ، ولكنه ليس في مثل مثانته . ويستعمل أساساً في عمدة الأسوار Fencing Posts ، لأنه شديد الاحتمال للأجواء المكشوفة .

الدردار Ash : متين ومرن ، بحيث يتمتص الصدمات جيداً ، دون أن ينكسر . ولا يصدم للأجواء الخارجية . ويستعمل في المنتجات الرياضية ، مثل مضارب الموكى ، والزلقات Skis ، وهياكل المركبات الكبيرة مثل الأتوبيسات .

الجوز Walnut : خشب جميل وقيم جداً ، يتميز بأنماط من ظلال بنية اللون ، ولا يتغير شكله بعد تجفيفه ، كما أنه لا ينفلق ويستعمل للأثاث الرافق ، سواء كألواح أو قشرة ، ولتقاضي البنادق والمسدسات .

شجرة البق Elm : خشب شجرة البق العادي بني مائل إلى الأحمراء ، مع ظلال داكنة ، أما النوع Wych Elm فلونه فاتح . ويستعمل لجميع الإنشاءات تحت الماء ، إذ أنه يقاوم التعفن في ظروف البطل .

الجميز Sycamore : خشب أبيض أو مائل إلى الأصفر ، يمكن صباغته بألوان مختلفة ، جامد وأليافه ملساء ومتتساوية . ويستعمل لأدوات المطبخ الخشبية ، وللأرضيات ، وهو خشب ممتاز للاستعمال داخل المبني .

الحور Alder : بني مائل إلى الأحمراء ، وهو خشب طري ، خفيف الوزن بعد تجفيفه . يتحمل البقاء تحت الماء ، ولكنه لا يستعمل كثيراً كخشب . وهو مثال لعمل السادات الخشبية ، لأنه يقاوم الرطوبة ، ويسهل نحته .

الدلب Plane : ينمو أساساً كشجر حادائق أو على جوانب الطرق . وتشبه البني الفاتح اللون ، مفيد في الاستعمال داخل المبني . وهو جذاب للأثاث ، ولا يصدم للأجواء المكشوفة .

الزان Beech : شجرة جميلة خشبها متين وصلد ، وأليافه متقاربة ومتتساوية . ويستعمل في الأثاث ، وكتشة ، وفي الأرضيات وفي العدد . ويستعمل كذلك لفح الخشب Charcoal وكحول الخشب .

الروبينيا Robinia أو **Locust Tree** : خشب جامد وممتين ، يستعمل في أغراض مختلفة . ويستعمل لصناعة الصواري ، وقوائم الأسوار ، وبرامق العجلات Wheel Spokes ، وتشكيله من الأدوات المنزلية النافعة .

البيسيه Spruce : يستعمل النوع المائل إلى البياض أو البني الفاتح بكميات ضخمة ، له ألياف متوازية . ويستعمل في إنشاء المساكن ، وصناعة الصناديق ، وإنتاج الـPulping لصناعة الورق .

اللاركس Larch : يشبه خشب البيسيه في مظهره ، وهو قرم ، ومتين ، وسهل التشغيل . ويستعمل في جميع أنواع الأشغال الإنسانية ، وخاصة خارج المبني ، وبناء الجسور ، وفلنكات السكك الحديدية ، وما أشبه .

الصنوبر الاسكتلندي Scots Pine : إن النوع المعروف في التجارة هو الأحمر ، أو الأصفر ، له ألياف خشبية متوازية ، وهو جامد ، وراثنجي . ويستعمل في جميع أنواع الأشغال الإنسانية ، وأعمدة التلفراف ، واللب لصناعة الورق .

الكرز Cherry : خشب القلب دقيق الألياف ، بني داكن ، وقيم لصناعة الصغيرة . ويعتبر نوعاً من الخشب الذي يستخدمه المترفون . ويستعمل في الأثاث الدقيق ، والنحت الزخرفي ، والآلات الموسيقية ، وغلايين التدخين .

الكمثرى Pear : خشب بني مائل إلى الأحمراء ، جامد وثقيل ، أليافه ملساء ومتتساوية . وتصنع منه أدوات منزلية صغيرة مختلفة ، والآلات الموسيقية ، وخاصة المساطر والأجهزة الهندسية الأخرى .

الماهوجني Mahogany : خشب زخرف مشهور ، لونه بني مائل إلى الأحمراء . ويستخدم في صنع الأثاث الرافق ، كألواح أو قشرة ، ويستعمل بكثرة في صنع القوارب ، والتجارة الداخلية .

خشب الورد Rosewood (ليس هو خشب أشجار الورد) : خشب داكن مائل إلى الأحمراء ومقلم باللون الأسود ، جامد وأليافه متقاربة . ويفصل منه الأثاث الرافق ، والبيانو ، والآلات الموسيقية الأخرى .

الصنوبر الراتنجي (البتشابين) Pitch Pine : متين وشديد التحمل ، ينمو فطرياً في شرق أمريكا الشمالية . ويستخدم في الأشغال الإنسانية من جميع الأنواع ، والمبني ، والجسور ، وفلنكات السكك الحديدية ، والقوارب .



الأشجار

للحشارة ، فهو يعطي الجزء الخشبي Woody كله ، ويحميه من العدوى بالفطريات Bacteria و البكتيريا Fungi . كذلك فهو يمنع فقدان الماء بالتبخر . وقد يكون من المتحمل ألا يتتشابه القلف في نوعين من الأشجار . وإليك صور لقلف بعض الأشجار .

إننا عادة نميز الأشجار ونصنفها تبعاً لشكلها ، وطريقة نمو أغصانها ، وشكل أوراقها ، وفي الشتاء ببراعتها Buds وأغصانها الصغيرة Twigs . وقد يلفت نظرنا ارتفاعها وقوتها ، ولكننا كثيراً ما نغفل شكل القلف Bark فيها . والقلف له أهمية كبيرة

أشجار مزخرفة متزرع في المدن



السرفي



قسطل لفني



الدردار



رليب



نورويجن فروتن



رويني

أشجار تنمو في السهول



فيتب



موز



عران



بلوط أخضر



سندر



كافور



صنوبر بحري

أشجار تنمو في الجبال المنخفضة



قسطل



عران



بلوط



تنوب



زان



ذركسن



صنوبر بري

أشجار تنمو على قمم الجبال



صنوبر جبلي

قلف الشجر قد يكون



أملس
"زان"

مبعد
"بلوط"

مشقوق
"كستناء المصان"



مرقط
"رليب"

شرطي
"ستيلا"

عقد
"لاركس"

تجارة الصوف الإنجليزي في العصور الوسطى



②

وكذلك مدن چنت Ghent ، وبروجز Bruges ، وإير Ypres ، ودواي Douai في الفلاندرز.

المنتجون الإنجليز

كان لكل مزارع تقريباً في إنجلترا في العصور الوسطى قطيعه من الأغنام . وكان بعض كبار ملاك الأرضي، يمتلكون أعداداً هائلة من الأغنام ، منهم أسقف ونشستر ، الذي كان يمتلك عام ١٢٥٩ نحو ٢٩٠٠٠ رأس . وقد ظل الإنجليز ، لفترة طويلة ، لا يقومون بتصدير الصوف بأنفسهم ، بل كانوا يبيعونه للتجار الأجانب . وكان معظم هؤلاء التجار في القرن الثاني عشر من أهل الفلاندرز ، إلا أن الإيطاليين أذاجوهم من هذا المضمار في القرن الثالث عشر . وكان كبار ملاك الأراضي يقومون بتوقيع العقود مع التجار ، وأحياناً كانت تلك العقود تغطي عدة سنوات مقدماً . وفي مثل هذه الحالات ، يتقاضون الثمن مقدماً أيضاً . وكان الدفع نقداً يسمى آرا Arra .



①

ظل الصوف طيلة ٤٠٠ عام ، من القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس عشر ، أهم منتجات إنجلترا ، للدرجة أن وزير الخزانة كان يعتمد على الصوف في وضع ميزانيته . وكانت الضرائب الملكية تدفع بالصوف ، كما كان تاجر الصوف هم الذين يمولون الحروب ، التي تضطر البلاد لخوض عماراتها . وكان كثير من الأسرات التي كانت تعدّ من أقوى الأسر في إنجلترا ، مثل أسرة دى لاپولز de la Poles ، وأسرة بولتنى Pultneys قد بدأت حياتها في تجارة الصوف ، كما أن بعضها أجمل كنائس العصور الوسطى وبيوتها ، قام بتشييدها رجال الصوف ، نذكر منهم ذلك الرجل الذي نُقش على زجاج منزله الجديد هذه العبارات :

«أحمد الله ، وسائل أحمده ، على أن الأغنام هي التي دفعت ثمن كل شيء»

التجارة في العصور الوسطى

كان من المعاد الاعتقاد بأن «الصور الوسطى» تكاد تكون وحدة واحدة ، وأن ما يصدق على قرن من قرونها ، كان يصدق على أي قرن آخر منها . ولكن ليس ذلك صحيحاً . فإنجلترا ، في العصور الوسطى ، مرت بغيرات عديدة هامة ، لم يكن منها ما هو أكثر دلالة من نمو التجارة . في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، كانت التجارة سبباً في تكوين مجتمع أوروبي تجاري علماً ، أخذت المنتجات تتنقل فيه من أحد طرق القارة إلى طرفها الآخر . وفي منتصف الرقة التي كان يشغلها هذا المجتمع ، تقع الفلاندرز Flanders ، التي كانت سوقاً للنبيذ الوردي من حوض الراين ومن بوردو Bordeaux ، وللحديد من إسبانيا ، والأسماك والفراء من حوض بحر البلطيق ، والحرير والتوابيل من الشرق ، وفوق كل ذلك ، كانت مركزاً لتجارة الصوف .

كانت إنجلترا في مقدمة البلدان الأوروبية إنتاجاً للصور ، ولكنها ، وحتى القرن الرابع عشر ، لم تكن تصنع سوى القليل جداً من هذا الإنتاج الضخم . وقد استعاضت عن ذلك بالأرباح الطائلة التي كانت تتحققها من تصديره ، إذ كانت تمد به أهم مراكز القارة في صناعة الأقمشة ، والتي كان من بينها مدينة فلورنسا Florence الإيطالية ، التي كانت تنتج أرق أنواع الأقمشة الفاخرة ،



توضح هذه الرسوم بعض مظاهر تجارة الصوف :

- ① دار الصوف قديماً .
- ② دور فليننجز في كيرزى ، سوفولك .
- ③ غزالون أمام أنواهم .
- ④ وقد نمت شركات الغزلان في جميع أنحاء البلاد ، وكان لأكثرها خاتمها الخاص .
- ⑤ شيبنج كامپدن ، وهي مركز كبير للصوف .
- ⑥ زاد ازدهار الغزلان بدرجة كبيرة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، وأصبح في مقدور الكثيرين منهم أن يبنوا لأنفسهم مساكن مريحة في المدينة .
- ⑦ عمال الصباغة أثناء عملهم .
- ⑧ قاعة تاجر «المراكز» في شيبنج كامپدن .



١٧٠٦



من تسديد الديون التي ارتبط بها مع منتجي الصوف ومع المصارف . كما أنه كان يستطيع أن يشتري بالقيمة ذهبا ، وينقله إلى إنجلترا للوقاء بتلك الديون (أو بيع العملة بالأسعار الحاربة) ، ولكن نقل الذهب بحرا خارج الفلاندرز ، كان عملا محفوفا بالمخاطر ، بسبب اللصوص ، كما أنه كان عملا غير قانوني .

وكان من الأكثرب احتالا ، أن يقصد أحد المصارف في الفلاندرز ويشترى « إذن مبادلة » ، ثم يقدم هذا إذن لأحد المصارف في لندن ، ويقبض قيمته بالجنيهات الإنجليزية . وإن كان الموسم طيبا ، كنت تجد عددا كبيرا من التجار الإنجليز يطلبون شراء مثل هذه الأذونات : فكان المصرف يطلب ثمنا لإذن قيمته ٢٠ شلنًا إنجليزيا ، مبلغا قد يصل إلى ٣٢ شلنًا من عملة الفلاندرز . وبعبارة أخرى ، كان سعر التحويل ٢٠ : ٣٢ ، وهو سعر مرتفع . وبعد ذلك يقوم التاجر ، الذي افترضناه ، بعبور المانش ، حاملا معه إذن المبادلة ، ويقصد به أحد مصارف لندن . ولسوء حظه – إذا كان الموسم طيبا – فإن عددا كبيرا من التجار يحملون أذونا مشابهة ، ولذلك فإن الأذن الذي قيمته ٢٠ شلنًا بسعر ١٨ شلنًا فقط . وبعبارة أخرى ، يرتفع سعر التحويل ارتفاعا آخر (١٨ : ٣٢) . من ذلك نستطيع أن ندرك أن سعر التحويل كان يتذبذب ، ولم يكن التاجر ليستطيع تقدير أرباحه النهاية ، إلا بعد أن يصرف قيمة آخر إذن مبادلة معه . وبالطبع كان يحدث أن ينخفض سعر التحويل ، وفي هذه الحالة كان التاجر يتحقق أرباحا عالية لم يكن يتوقعها . وقد يكون من المفيد أن نلاحظ أن سعر التحويل المرتفع كان عادة في صالح إنجلترا ، لاسيما أن الجنيه الإنجليزى كان يساوى قدرًا كبيرا من عملة الفلاندرز . ولم يكن سعر التحويل يعمل ضد صالح التجار ، إلا عندما تكون حصيلة بيعهم مقومة بعملة الفلاندرز .

الضرائب المفروضة على الصوف

كان ملوك العصور الوسطى يبحثون دائما عن مصادر جديدة للدخل . وكانت هناك وسائلتان يستطيع الملك بإحداهما الاستفادة من تجارة الصوف : إحداهما فرض الضريبة على الصوف عينا ، والثانية على شكل إتاوة نقدية . في الحال الأول ، كان يستولى على كميات من الصوف من رعاياه ويسعى بنفسه ، وكان ذلك يتم في حالة الضرورة فقط . وفي الحال الثانية ، كانت الضريبة نوعية أو ضريبة صادر . وبالرغم من

المركبة في تجارة الصوف

بدأ الملك في القرن الرابع عشر يلاحظ أن في استطاعته

مع فرنسا ، فقام بفرض ضريبة باهظة على الصوف - ٤٠ شلنًا على الجوال . وقد أصبحت هذه الضريبة معروفة باسم (الضريبة الباطلة) .

تم كان الاستعداد لحرب المائة عام ، الذي جعل الملك في حاجة عاجلة للمال . وفي عام ١٣٣٦ ، أضيف إلى الضريبة الباطلة تحديد للأسعار . وكان الغرض من هذا الإجراء ، حماية المنتجين من الأسعار المنخفضة ، التي كان من عادة التجار أن يدفعوها لل Herb من حمل الضريبة على كواهلهم . كان ذلك بداية حل وسط : كان مجلس العموم حتى ذلك الوقت يعارض « الضريبة الباطلة » بحماس ، أما في تلك المناسبة ، فإنه وافق عليها ، بشرط أن يكون له حق الرقابة عليها . وفي عام ١٣٤٠ ، أقر المجلس تلك الضريبة لمدة سنة واحدة فقط .

والآن فائت تعرف

- (١) ما هي الدولة التي كانت مركزاً لتجارة الصوف في العصور الوسطى ؟
- (٢) من هم الوسطاء ؟
- (٣) ما هو إذن التحويل ؟
- (٤) أين استقر نظام « المركز » لتجارة الصوف ؟

①

المركبة في تجارة الصوف



⑧

زيادة دخله عن طريق حركة تصدير الصوف، إذا ماتمكن من توجيهها كلها إلى مكان واحد، ليتم تحصيل الضريبة عليها قبل الإفراج عنها للتصدير . وهكذا نشأ نظام المركبة . وكانت المدينة التي يجب أن يمر بها الصوف المقرر تصديره تسمى « بحر كر تجارة الصوف ». وكانت أول مدينة من هذا القبيل هي سنت أو默 St Omer ، وذلك في عام ١٣١٣ . غير أن موقع هذا المركز كان يتغير باستمرار ، فأحيانا كانت إحدى المدن الإنجليزية تعتبر أكثر صلاحية لهذا الغرض من غيرها ، وظلت الحال كذلك إلى نهاية القرن ، عندما استقر الرأي أخيرا على مدينة كاليف Calais (وهي مدينة إنجليزية، ولكنها تقع في القارة) . وفي نفس الوقت ، ابتدأ الآثرياء من التجار الإنجليز يخلون محل الإيطاليين في عمليات التمويل . وباكتسابهم هذه الصفة ، منحوا بعض الامتيازات التجارية ، كما أنهما أقاموا ما يعتبر في الواقع احتكارا لتجارة التصدير . وهنا أدرك الملك أنه بالاعتراف بشرعية الاحتكار الإنجليزى ، وبالسماح للتجار الإنجليز بحق إدارة « المركز » ، فإن في استطاعته أن يستغل هذا الوضع لصالحه . وهكذا نشأت « شركة تجارة المركز » . وفي مقابل تفتح هؤلاء التجار بزيادا الاحتكار في مزاولة تجارة « المركز » ، كانوا يدفعون للملك إعانة ضخمة . وفي عام ١٤٦٦ ، صدر قانون يقضي بمنع تلك الشركة الحق في الاحتفاظ بكل أرباح الصوف ، في مقابل تعهدها بدفع الأجرور الخاصة بأفراد حامية كاليف .

الأقمشة تحت الصدارة

كانت أهم الآثار التي ترتب على احتكار تجارة الصوف ، خفض ثمنه في إنجلترا . ذلك لأن تجارة « المركز » ، وقد كان عليهم أن يدفعوا إعانات باهظة للملك ، لم يكن في استطاعتهم أن يدفعوا أسعارا عالية لمنتج الصوف . وقد أدى ذلك الوضع إلى تشتيط صناعة المنسوجات المحلية ، وأصبح في استطاعة المصانع الإنجليزية أن تتنفس منسوجات أقل سعرا بدرجة كبيرة ، من أسعار المنسوجات الأجنبية ، التي كانت مصانعها تعرضأسعارا أعلى للصوف الخام . وعلى ذلك ، واعتبارا من القرن الخامس عشر ، وبالرغم من أن أرقام تصدير الصوف أخذت في الانخفاض ، فإن أرقام التصدير الخاصة بالمنسوجات ارتفعت ارتفاعا سريعا ، كما أصبحت تربية الأغنام أكثر ربحا منها في أي وقت مضى .



⑦



⑨

رئيساً لأول حكومة شيلية . وقد وضع دستورها الأول ، وبنذل قصارى جهده لتوطيد النظام ، وتشجيع التعليم ، وتنظيم جيش البلاد . وكان هؤلاء الوطنيون المتحمسون الأوائل من ذوى المثل العليا البosal ، تلهيمهم وتزكيمهم أفكار الثورتين الفرنسية والأمريكية ، ولكنهم كانوا بلا خبرة عملية في شئون الحكم أو الإدارة . ولذلك ما لبثوا المشاحنات والمنافسات أن شجرت بين الزعاماء ، بما أفضى إلى إضعاف القوى الوطنية ، حتى هزمت أمام الأسبان في رانكاجوا Rancagua عام ١٨١٤ . وقد أقصى كاريرا إلى المنفى ، ولم يعد منه بعد ذلك .

برناردو أوهيچنر

كان القائد الجديد للثورة هو برناردو أو هيچنر Bernardo O'Higgins ، وهو شيل من أصل أيرلندي . وقد وجد حليفاً قوياً في شخص چوزيه دي سان مارتن José de San Martín ، وهو ليبرالي أرجنتيني ، كان معروفاً بأنه أربع جندي في أمريكا الجنوبية . وفي مستهل عام ١٨١٧ ، قاد سان مارتن جيشاً من أبناء الأرجنتين وشيل عبر جبال الأنديز إلى داخل تشيلي ، في زحف من أعظم الحركات العسكرية في التاريخ . وقد استطاع جيش الأنديز Army of the Andes أن يفوز في معارك تشاكابو Chacabuco وهذا ، ومعه الجنود الشيليون تحت قيادة أوهيچنر ، أن يفوز في معارك مايپو Maipo ، وأن يطرد الأسبان من أرض تشيلي .

ولم يلبث أوهيچنر أن دعا أحد أمراء البحر البريطانيين هو اللورد كوشان Lord Cochrane ، الذي خدم تحت لواء نلسون ، لكي يتولى تنظيم وقيادة أسطول شيل البحري . وكان هذا الأسطول يتكون من سبع سفن ، أغلىها قديم ومعطوب . ومع ذلك ، فإن هذا الأسطول تمكّن ، وهو تحت قيادة ملاح عبقري ، من منع هجوم للأسبان على ميناء فالباريزو Valparaíso ، والاستيلاء على الحصون الأسبانية في فالديشيا Valdivia . وبعد ذلك استقل جيش الأنديز أسطول كوشان وأبحر إلى بيرو ، حيث نادى سان مارتن بنفسه حاميأ للبلاد Protector في ١٨٢١ . أما أوهيچنر فقد بقى بوصفة المدير الأعلى Supreme Director بجمهورية تشيلي .

جمهورية تشيلي

تعاقب على جمهورية تشيلي كثيرون من رؤساء الجمهورية بعد أوهيچنر ، وحدثت تغيرات عديدة في الحكومة . وبرغم ذلك ، فإن القرن التاسع عشر كان عهداً تقدماً كبيراً لتشيلي . فقد فتحت جامعة تشيلي ، ومدت السكك الحديدية ، وأقيمت الاتصالات البرقية ، وتزايد ناتج البلاد من النحاس والفضة ، واستخرج الفحم من المناجم . وقد دفعت الحرب بين بوليفيا وبيرو وبين تشيلي ، بسبب حقوق الترات في الشمال ، وقد خسرتا الحرب ، واضطربتا إلى إعطاء تشيلي أراضي ذات قيمة كبيرة . أما مشاحنات الأرجنتين مع تشيلي بصدق منطقة تيراديل فويجو Tierra del Fuego ، فقد تمت تسويتها عام ١٩٠٢ ، على يد إدوارد السابع ملك بريطانيا . وفي الوقت الحالى ، ينتخب رئيس الجمهورية لمدة ست سنوات ، وللرجال والنساء حق الانتخاب في سن الخامسة والعشرين ، إذا كانوا ملمنين بالقراءة والكتابة ، وتشكل الحكومة من مجلس للشيوخ ، و مجلس للنواب . وتعكس تشيلي ، مثل غيرها من جمهوريات أمريكا الجنوبية ، فوارق صارخة بين الغنى المترف ، والفقير المدقع .

تشيلي: الكفاح من أجل الاستقلال



ت تكون جمهورية تشيلي Chile من شقة طويلة ضيقة من الأرض ، تمتد جنوباً على الساحل الغربي لأمريكا الجنوبية . ويبلغ طولها أكثر من ٤٤٨٠ كيلو متراً ، ولكن بمتوسط عرض يقل عن ١٦٠ كيلو متراً ، تجذب مساحتها الكلية ضعف مساحة الجزء البريطاني . وتفصل جبال الأنديز The Andes الحانب الشرقي لتشيلي عن الأرجنتين Argentina ، وتحدها من الشمال والشمال الشرقي بوليفيا Peru . ومعنى طول تشيلي ، أن الأرض والمناخ يتفاوتان تفاوتاً كبيراً ، بين الصحراء الشمالية الجديدة ، والوسط الحار ، إلى الجنوب المثير .

اكتشاف تشيلي

تم اكتشاف تشيلي عام ١٥٣٥ ، على يد المستكشف الأسباني دييجو دي الماجرو Diego de Almagro ، الذي عبر جبال الأنديز العالمية من بوليفيا بحثاً عن الذهب . وبعد ذلك بخمس سنوات ، أوفد پدرو دي فالديشيا Pedro de Valdivia لفتح تشيلي لحساب إسبانيا . وقد أسست العاصمة سانتياغو Santiago عام ١٥٤١ ، وكذلك عدة بلدان أخرى .

وقد وجد الأسبان صعوبة في إخضاع البلاد ، إذ أن شعبها ، وهو من الهنود الأروكان Araucanian Indians ، كان شعباً من المقاتلين البواسل ، ذوى الصلابة والعناid . وقد ظل هذا الشعب يواصل حرب العصابات ضد الأسبان مدى قرنين من الزمان .

الحكم الأسباني

كانت تشيلي ، مثل غيرها من المستعمرات الأسبانية ، يدار حكمها من إسبانيا ، وكان حكامها يتلقون الأوامر من مجلس البلاد المدنية في مدريد . وكانت جميع المناصب الهامة في الحكومة ، والجيش ، والكنيسة ، تمنح للأسبان من إسبانيا ذاتها ، وفي خلال ذلك ، أخذ المستوطنون الأسبان يصيغون من الأغنياء ، كملوك للأراضي وللمناجم . وكان الهنود يوفرون لهم الأيدي العاملة الرخيصة بلا حدود ، ولم يستخدم المستوطنون الأسبان ثرائهم لتحسين أحوال الوطنيين وأقدارهم ، بل تركوا في حالة فقر وجهل ، ولم ينالوا أى تدريب لإدارة شئون بلادهم .

وقد أدت نهاية الإمبراطورية الأسبانية في أمريكا عام ١٨٠٨ ، إلى ترك فراغ سياسي بعض الوقت . وعندما غزت جيوش نايليون إسبانيا ، نزل الملك الأسباني عن كل حقوق إسبانيا في أمريكا الجنوبية إلى فرنسا . أما المستعمرات الأسبانية الأخرى ، فالباحث أن سارعت بإعلان الاستقلال ، تقدمها فنزويلا Venezuela ، التي كان يترأسها سيمون بوليفار Simon Bolívar "The Liberator" ، ولكن تشيلي بقيت على ولايتها للملك فرديناند المتغيب عن البلاد ، إلى أن قام چوزيه كاريرا José Carrera ،

وهو زعيم شعبي ، فقاد ثورة من أبناء تشيلي لوطنه ضد الحكم الأسباني .

وقد أدت شخصية كاريرا القوية ، وما كان له من تجرب عسكرية ، إلى أن يصبح چوزيه كاريرا في اجتماع مع غيره من المفتيين الشيليين



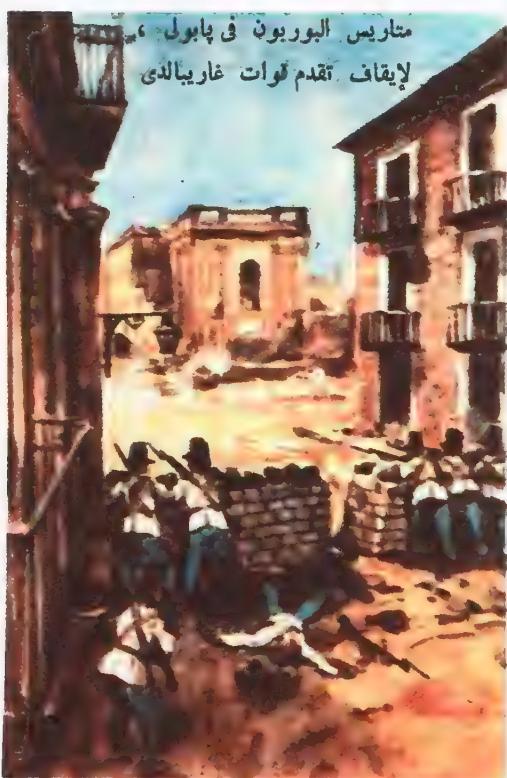
الصادقة بيو بونية

بوربون

للحكم ، واستخدم الشرطة والجوايسين في مطاردة هؤلاء القوم . وفي سنة ١٨٢٠ مات فرديناند ، وهو هو أغض الناس إلى القلوب ، بسبب حكمه الاستبدادي.

لا شيء من التحسين

في عهد فرانسيس الأول Francis I بن فرديناند ، ازدادت الحكومة فسادا ، وقد منح البلد دستورا بعد ثورة نشبت في سنة ١٨٤٨ ، ولكنه لم يفع لپرمانه أى قسط من الحرية . وأخيرا ، في سنة ١٨٦٠ ، قام الوطني الإيطالي العظيم غاريبالدي Garibaldi بغزو باليرمو ونابولي ، وسوق الملكية ، ونادي بشيكتور أمانويل الثاني Victor Emmanuel II ملكا على جميع إيطاليا . وهكذا اتهى طغيان بوربون نابولي .



مطرис البوربون في نابولي ، لإيقاف تقدم قوات غاريبالدي

بإصلاحات مختلفة . في عهده ، أصبحت نابولي مركزا للفنون ، والعديد من الأبنية الجميلة القائمة اليوم ، تكشف عن ولعه بالفن العمالي الرائع : على سبيل المثال ، مسرح سان كارلو San Carlo وقصر كازيرتا Caserta الضخم ، الذي كان شارل يأمل أن يزيبه قصر فرساي Versailles للملك لويس الرابع عشر . ولكن شارل ورث في سنة ١٧٥٩ عرش إسبانيا . واخترط إلى أن يعتزل حكم نابولي ، وأن ينزل عنها لابنه فرديناند Ferdinand ، البالغ من العمر ثمانية أعوام ، على أن يظل تانوتشي في منصبه حتى يبلغ فرديناند سن الرشد .

عندما يتعدد اسم البوربون Bourbon ، يتبدادر إلى ذهان معظمنا ملوك فرنسا العظام ، من أمثال هنري الرابع Henry IV أو لويس الرابع عشر Louis XIV ، ولكن هذه الأسرة القوية ، كانت ذات ذات يوم تشغل لأقل من ثلاثة عروش في أوروبا في نفس الوقت . في عام ١٧٠١ ، نصب شارل الثاني Charles II — آخر ملوك أسبانيا من آل هابسبرغ Habsburg — أحد صغار أحفاد لويس الرابع عشر خليفة له ، وحكم هذا

حكم طويل

كان فرديناند ، بوجه عام ، ملكا منحوسا ، فعندما نشبت الثورة الفرنسية ، قامت في نابولي جماعة من أذكياء الناس المتشبعين بأفكار جديدة عن الحرية ، وبذل الملك كل ما في طاقته للقضاء عليهم ، إذ روعه أنهن قد يتحولون مملكته إلى جمهورية ، كما كان الشأن في فرنسا . وعلى هذا الرأي كانت زوجته ماريا كارولينا Maria Carolina أخت ماري أنطوانيت Marie Antoinette ، الملكة الفرنسية التي أعدمت على المقصلة . وقد استطاعت أخيرا أن تستحوذ على محاربة نابليون ، ولكن الفرنسيين استولوا على نابولي ، وأعلنوا هناك جمهورية بارثينوبوليا Parthenopean Republic في سنة ١٧٩٩ ، وهرب الملك إلى صقلية . ورغم هذا هزم الملكيون النابوليونين الفرنسيين والجمهوريين بمساعدة نيلسون Nelson ، ورجع فرديناند إلى بلاده ، وأعدم المئات من الخيار الأكفاء الذين ناصروا الجمهورية .

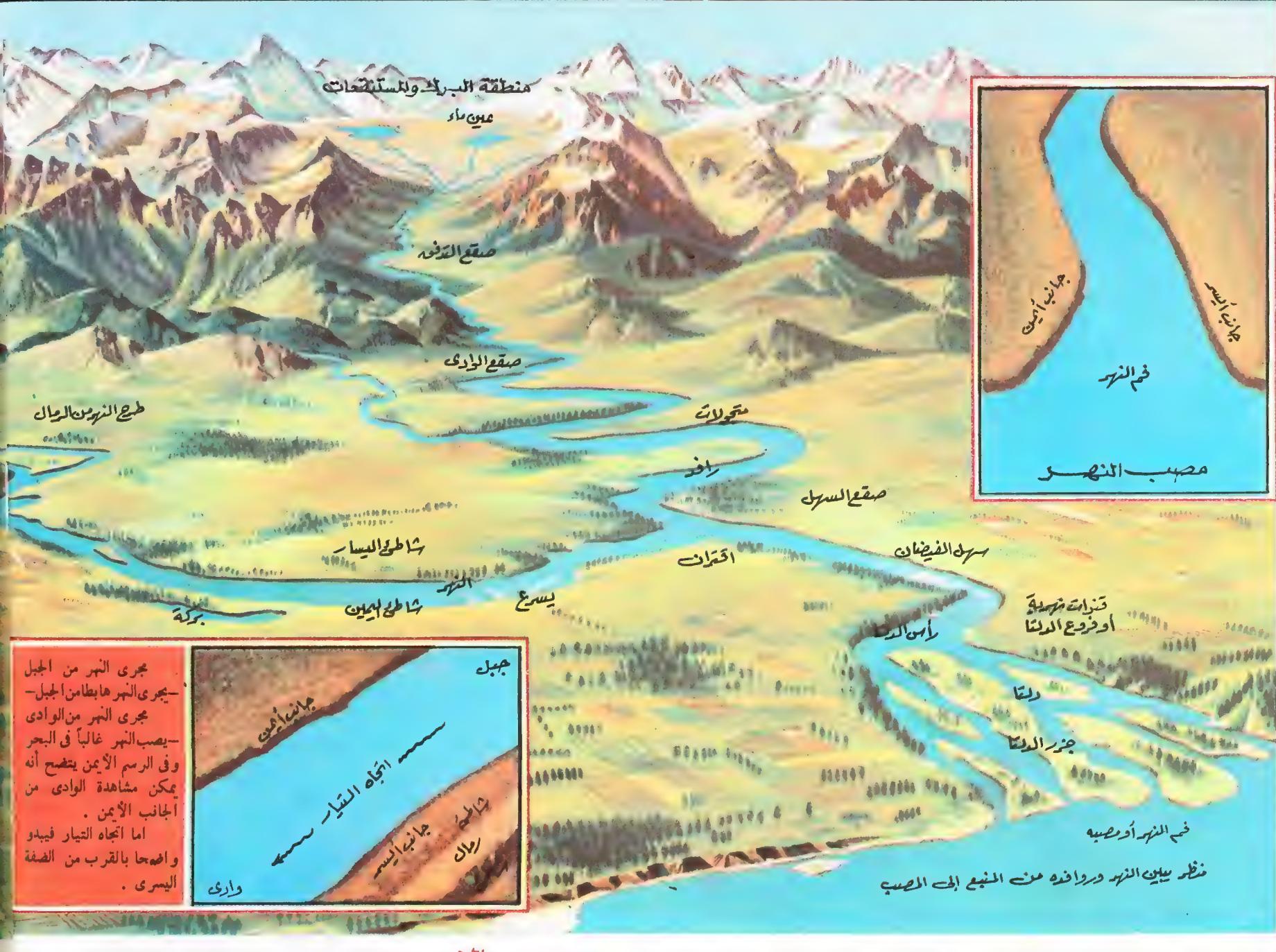
وفي سنة ١٨٠٥ ، نشبت الحرب مرة أخرى ، وفي بداية الأمر ، نصب نابليون أخيه چوزيف Joseph ملكا على نابولي ، ثم الجندي مورات Murat فيها بعد . وللمرة الثانية هرب فرديناند إلى باليرمو Palermo عاصمة صقلية ، ولم يعد إلا بعد سقوط نابليون (١٨١٥) ، فاشتد قسوة وعنفا عما كان عليه من قبل ، بأن قضى على أولئك الذين طالبوه بمنح نابولي دستورا أو نظاما



ملك إسبانيا ، فيليب الخامس ، من آل بوربون هنري الرابع ، أول ملوك بوربون حكم فرنسا الخامسة ، من آل بوربون ملك بربوف حكم نابولي إلى سنة ١٧٤٦ . وفي غضون ذلك ، كانت مملكة نابولي Naples التي تضم كل جنوب إيطاليا (والتي كانت معروفة في الجزء الرئيسي من البلاد باسم مملكة صقلية Sicily) خاضعة لسلطان النساء ، ولكن فرنسا وأسبانيا أبرمتا في سنة ١٧٣٣ معاهدة ضد النساء ، نصبتا بمقتضاه شارل الثالث بن فيليب Philip ملكا على نابولي . وفي عام ١٧٣٨ ، استولى شارل على جزيرة صقلية أيضا ، وبذلك أصبح ملكا على الصقلتين . وكانت هذه هي البداية لبوربون نابولي .

خير ملوك آل بوربون

كان شارل ، من وجوه عديدة ، ملكا حكما حصيف الرأي ، وقد قام بمساعدة وزير تانوتشي Tanucci



نهر النهر

يبدأ النهر عادة من مساحة أرض مرتفعة ، على الرغم من أنه قد لا يلزم أن تكون هذه الأرض سلسلة جبال مرتفعة كما هو مبين أعلى. في الجبال العالية التي توجد في قممها الثلوج الدائمة ، نجد أن مياه أعلى النهر ، قد تبدأ أولاً على هيئة مجاري كبرى ، تنساب من تحت نهر جليدي (ثلاجة Glacier). إلا أنها تظهر ، أول ما تظاهر ، للعيان عند طرف الثلاجة الأدنى. ومهما يكن من شيء ، فإنه في معظم الأماكن ، يكون حوض تجميع ماء النهر ، عبارة عن ثغرة غير محدودة المعالم في أعلى الجبال ، لها قاع رطب غير مطروق ، أو حتى مجموعة برك صغيرة . وفي قليل من المناطق الخاصة ، يظهر مجاري الماء أولاً كينبوع ، أو مجاري مائي تحت الأرض (جوف). ولا يحدث ذلك إلا إذا كانت الصخور التي على السطح مسامية Porous أو غير منيعة ، بحيث يتجمع ماء المطر أثناء تسربه خلال الصخر . ومن أعلى تظهر بعض الحالات التي تولد فيها الينابيع .

النهر أو صقعة الجبال

في العادة يكون الجزء العلوي لمجرى مائي مثالي ، انحدار أو ميل شديد ، بحيث يسرى فيه الماء بسرعة هائلة . أما وادي جريان النهر ، فيكون عادة ضيقا ، وله جوانب عظيمة الانحدار ، كما تكون جدرانه صخرية في الغالب . ونظرا لعظم سرعة التيار المائي ، فإنه يستطيع أن يحمل معه فتات الصخر Debris على طول المجرى ، حتى الحجارة الكبيرة أو الحلاميد الصغيرة . وينجم عن حركة هذه الجسيمات الصخرية ، وقوه المياه السريعة الجريان ، أن تنشط التعرية Erosion في قاع المجرى وجوانبه ، ومن ثم يتسع الوادي .

تسمية الأنهار

تستخدم تعبيرات مختلفة ، وألفاظ متباينة ، لوصف مجاري المياه والأنهار . والقليل جدا من تلك الألفاظ جدير بإعطاء الوصف الدقيق ، وليس هناك فروق حقيقة يمكن أن توجد بين كل منها . فعلا لا فرق بين المجرى Stream والنهر River ، على الرغم من أن المتفق عليه عادة ، أن النهر أطول وأوسع ، ويحتوى على مقادير من المياه أكثر من المجرى المائي . وأكثر من ذلك ، فإنه تستخدم عدة ألفاظ محلية متباينة ، في أجزاء مختلفة من بعض الأقطار ، لوصف نفس الشيء . فهذا نهر النيل يقال له بحر ، ونهر ، ونيل ، وفي الصعيد يستخدم لفظ « بلة » ، عندما يفيض المجرى ويتخل . وعندما يتفرع المجرى في الدلتا مثلا ، نجد عدة أسماء مثل : فرع دمياط ، وفرع رشيد ، والرياح المنوف ، والترعة الخمودية ، والبحر الكبير .. إلخ .

وزيادة على ذلك ، فإن لأجزاء النهر المختلفة ، أسماء مميزة يستخدمها العلماء من أجل وصفها ، إلا أن هذا التقسيم لا يمكن عادة أن يعرف بدقة ، والجزء الواحد من مجرى النهر ، إنما ينبع عنه الجزء التالي له في أغلب الأحيان . وتظهر بعض الألفاظ التي يمكن أن تستخدم في وصف الأجزاء المختلفة من النهر ، كما هو مبين بالشكل العلوي .

- هيدرولوجيا Hydrology : الدراسة العلمية للماء ، وخاصة بالنسبة لوجوده في المجرى المائي ، والبحيرات ونحوها . . . وتتضمن استخدامه ، ومرأقيته ، والمحافظة عليه .

- المياه الجوفية Ground Water : المياه التي توجد في شقوق الأرض وبقعها المتخصصة في الصخر ، وقد انسابت إلى تلك الأجزاء من مياه المطر أساساً ، عن طريق التسرب من السطح .

- مستوى المياه الجوفية Water Table : سطح المياه الجوفية ، أو السطح الذي من تحته تكون مسام الصخر وبثوره مشبعة بالماء . وهذا السطح غير معبد ومتغير .

- عين الماء Spring : سريان طبيعي للماء مستمر أو متقطع ، يخرج من الأرض ، وهي في العادة توجد حيث تقابل مستوى المياه الجوفية مع سطح الأرض .

- المنبع Source : النقطة التي عندها تظهر المياه الجوفية على السطح ، أو المكان الذي تجتمع فيه مقدار كافية من ماء المطر على السطح ، لتبدأ السريان إلى أسفل الجبل .

- ماء أعلى النهر Headwaters : تعبير لوصف المجرى الصغيرة ومتابعها ، التي تتحد لتكون النهر .

- حوض التجمع Collecting Basin : إنخفاض صغير في أرض مرتفعة ، وقد يكون هو منبع النهر . ومن اللازم أن لا يختلط بكلمة .

حوض تحصيل المطر Catchment Basin : الذي يمثل المساحة الكلية المتضمنة داخل خط تقسيم ماء النهر وروافده .

- خط تقسيم ماء النهر Watershed : خط قم سلسلة التلال ، التي تفصل بين مجموعة نهر ما ، عن مجموعة نهر آخر .

- رافد Tributary : مجاري مائية يدخل مجاري مائية أكبر منه .

- الاقتران Confluence : المكان الذي فيه يلتقي الرافد بمجاري النهر الرئيسي ، أو حيث يلتقي نهران متساويان في الكبر .

- رأس الدلتا أو نقطة التفرع Bifurcation : المكان الذي فيه ينقسم النهر إلى رافدين أو أكثر ، أو إلى فروع متفرقة .

- طرح النهر Alluvium : رمال وطمي يكونها النهر في أجزاءه الدنيا ، تتضمن حطام الصخور المتنقلة من مجاري أعلى النهر .

- سهل الفيضان Flood Plain : المساحة المسطحة من طرح النهر ، التي قد يغطيها الماء إبان الفيضان .

- الأسلوب Regime : تغير تصرف النهر ، تبعاً لحسابه لفترات يومية أو موسمية .



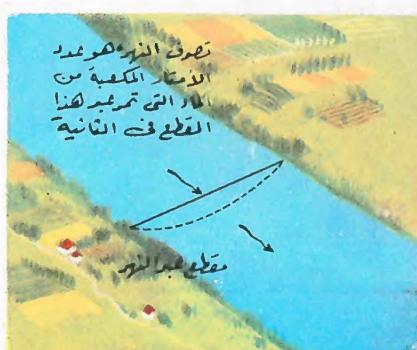
هجرة متجلولات نهر آدا من عام ١٨٩٤ إلى عام ١٩٣٩

صفات الوادي

وبالسير في اتجاه مجاري التيار ، يغدو النهر أكثر اتساعاً ، ويضم مياهاً أكثر ، نظراً لأن روافد Tributaries عديدة تدخله . وفي نفس الوقت ، يقل انداد النهر ، ومن ثم يجري الماء بسرعة أقل . وينجم عن فقدان التيار ، نقص حطام الصخر الذي ينقله النهر ، فأولاً يختلف التيار وراءه الحجارة الكبيرة وأجزاء الصخور ، ثم يأتي بعد ذلك دور تخلف الحجارة الأصغر والمحض ، وأخيراً الرمل الدقيق والطمي . وبترسب هذه المواد ، يبدأ النهر في بناء معلم الأرض على جانبيه من تلك الترسيبات ، أو ذلك الغرين . ولذلك الأرض التي يبنيها قلة مسطحة ، لا يغطيها سوى الماء إبان الفيضانات العالية ، ومن ثم يطلق عليها اسم مستوى أو سهل الفيضان Flood Plain . وفي هذا الصقع Tract ، تكون تأثيرات التعرية أقل بكثير عن تأثيراتها في الأراضي التي في أعلى المجرى . والفعل الأساسي للتعرية ، هو توسيع الوادي ، بدلاً من الحفر في قاعه .

صفات السهل

يتسع سهل الفيضان على التدريج ، وتحتفي الأرضي العالية الواقعة بين الأنهار المنفردة . وفي تلك المرحلة ، يصبح انداد النهر لطيفاً جداً ، ويسرى الماء وئداً . وكذلك يروح متجلولاً عبر سهل الفيضان في مسار معرج ، يتلوى في سلسلة من أحزمة التجول Meanders . ولا تثبت تلك الطواهر ، نظراً لأن أحزمة التجول هذه تتحرك بدورها ببطء في اتجاه التيار ، وبذلك يتغير مجاري النهر من حين إلى آخر . وتلك مرحلة يتوقف فيها النهر بواسطة النهر .



حوض تحصيل ماء المطر المطرور
إن حوض تحصيل مياه أمطار Catchment Basin أي نهر ، هو المساحة المحدودة بخط تقسيم مياه Watershed النهر الرئيسي وروافده . وقد تمت إلى البحر في حالة النهر الكبير ، أو إلى حيث اقتران Confluence نهر صغير مع آخر كبير .

التصريف Discharge : هذا هو الفظ المستخدم لوصف مقدار الماء الذي يمر عبر نقطة ، من نقط النهر . وفي العادة ، يقاس تصريف النهر بالأمتار المكعبة في الثانية ، عن طريق مقاييس التيار . وينتشر التصرف تبعاً لتغير مقدار الماء في النهر - من حيث كل من عمق المياه والسرعة التي تسرى بها . وتتغير هذه من ساعة إلى أخرى ،

ومن يوم إلى آخر . وقد تقسم قيمة التصرف على مساحة حوض تحصيل المياه ، لتعيين مقدار التصرف Run-off لفترة معينة من الزمن . والتصرف على غرار كمية المطر المتساقط ، إنما يقاس بالمليمتر .

ـ وـ رـ

تلك الحرب الأهلية الحقيقة التي عمّت باريس، والتي شنت ضدّ آن الفسوسية الوضيعة على العرش وزيراً مازاران Mazarin . وانضم كونديه Condé إلى صفوف الفرونديين Frondeurs ، فسارع تورين بالإنفصال إلّا أن رده لم تدم طويلاً، يعادى أنصار لويس الرابع عشر Louis XIV المخلصين ، إلّا أن رده لم تدم طويلاً، فقد هزم في ريشيل Rethel سنة ١٦٥٠ ، وخانه الأسبان . وإذاً أدرك تورين ، أن الفرونديين مثيري الحرب الأهلية ، لم يكونوا يعبّأون بثباتاً إلّا بصالحهم الشخصية ، فقد عقد صلحًا مع الملك سنة ١٦٥١ ، وتولى قيادة الجيش . ووضعت معارك چين Gien . وإيتامپ Etampes وضاحية القديس أنطوان ، حدا نهائياً لحرب الفروند الأهلية ، وأعادت الملك إلى باريس .

المجد

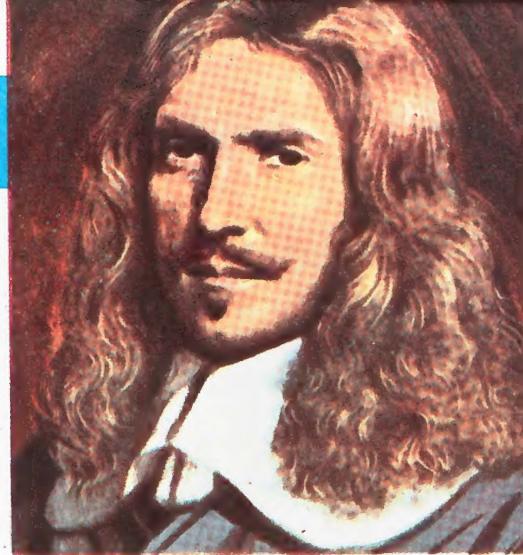
استمرت الحرب ضدّ أسبانيا ، التي انخرط كونديه Condé في سلك خدمتها ، واسترد تورين ريشيل ، وفك حصار آراس Arras ، واحتل كونديه Condé وسان جيلان St Ghislain ولا كاپيل La Capelle وسان فينان Saint-Venant ومارديك Mardyck ، كما فرض الحصار على دانكرك بمساعدة جنود كرومولي Cromwell البريطانيين . وحقق في عام ١٦٥٨ انتصاره الباهر في معركة الدييونز Dunes ، التي فتحت أمامه الطريق إلى دانكرك ، ومناطق أخرى في الفلاندرز Flandres . وقد انتهت معاهدة صلح البرانس Pyréness الحرب ، وعيّن تورين قائداً عاماً لمعسكرات وجيوش الملك ، عقيداً أو كولونيال لسلاح الفرسان .

وعادت الحرب إلى الاندلاع في عام ١٦٦٧ . أما الملك الذي يولي الجيوش اهتماماً فقد استعان بتورين لاستكمال تدريبه العسكري . وقد استولى المارشال على العديد من الأماكن في الفلاندرز ، حتى إنّ الأسبان وجدوا أنفسهم مرغمين على طلب عقد الصلح في العام التالي . وفي عام ١٦٧٢ اعتمذ الملك نقل ميدان المعركة إلى هولندا ، وعندئذ رأى نفسه يواجه تحالفاً ضخماً ، بعد أن استولى تورين على ٤٠ مدينة في غضون ٢٢ يوماً . وفي العام التالي ، طارد تورين أمير براند بورج Brendebourg حتى برلين ، ثم عبر الراين ، وتحقق مقاومة الحلفاء في سينزهايم Sinzheim وأعادهم إلى نهر الماين Main ، وفي غضون خمسة أيام ، قطع ٣٥ فرساناً ، وعبر الراين ، وهزم عدّوا تميز عليه بالتفوق العددي . وفي عام ١٦٧٤ ، عاد الحلفاء إلى عبر الراين تعزّز قوّة كبيرة ، إلا أنّ تورين عاد فأوقف تقدّمهم ، وهزمهم في إينزهايم Ensheim . وخلال فصل الشتاء ، وتحت ظاءة ظروف شديدة الصعوبة والقسوة ، دار المارشال حول جبال القوچ Vosges عن طريق إيبينال Epinal وريميرمونت Remiremont وبلفور Belfort، ودخل الألزاس Alsace ، وتحقق التحالفين في توركمائهم Türkheim ملقياً بهم إلى ما وراء الراين . وقد قال له لويس الرابع عشر ، وهو يقبله ، «لقد رفعت من شأن تاجي» .

الهزيمة

وضع بلاط ثيينا في مواجهته خير قواده مونتيكوتتشولي Montecucculi فحال تورين بيته وبين عبور الراين ، وضيق عليه الخناق قرب النهر ، والتجمّع في معركة قرب زرباخ Sasbach ، عندما أصيب ، خلال دوربة استطلاع ، بقنبلة صرعته في الحال ، وتقهقر الفرنسيون بعد نبأ موته قائدتهم ، خاثري الروح المعنية ، إلى ما وراء نهر الراين ، غير أنّ مؤخرة الجيش ، وقد استولى عليها غضب جامح ، انقضت على العدو ، تدفعه بقوّة ، مكبّدة إياه خسارة تقدر بنحو ألفي قتيل ، واستولت على سبع مدافع ، والعديد من الأعلام والرايات . حدث هذا يوم ٢٧ يوليو ١٦٥٧ وكان تورين قد بلغ آنذاك الخامسة والستين .

سجل تورين ، الذي بكاه الجنود والشعب ، في صفحات التاريخ شهرة بأنه رجل حرب عظيم ، ابتكر وجدد الإستراتيجية العسكرية ، فقد كان رجل مناورات بارع ، جمع بين سرعة الحركة ، واستخدام التحصينات . وكان ، عادةً على ذلك، يشجع الرجال وأيّدهم بمناصرهم ، أكسبته طيبة قلبه، ويساطته، وحرمه الدائم على عدم إزهاق أرواح ، وإراقة دماء رجاله ، محبة في قلوب الجميع . وقد صرخ ناپليون وهو يتحدث عنه بأنه « من بين القادة العديدين الذين سبقوني ، وربما يجيئون بعدي ، فإنّ تورين أعظمهم جميعاً » .



صورة تورين

ولد هنري دي لا تور Henri de la Tour دو فيرن d'Auvergne فيكونت تورين Sedan في سيدان ١٦١١ ، وهو الابن الثاني للدوق دي بويون De Bouillon من زوجته إليزابيث دي ناسو Elisabeth de Nassau ، ابنة غيلوم الصامت Taciturne .

تلقي تنشئة دينية بروتستانتية ، وثقف ثقافة رفيعة .

حرباته العسكرية الأولى

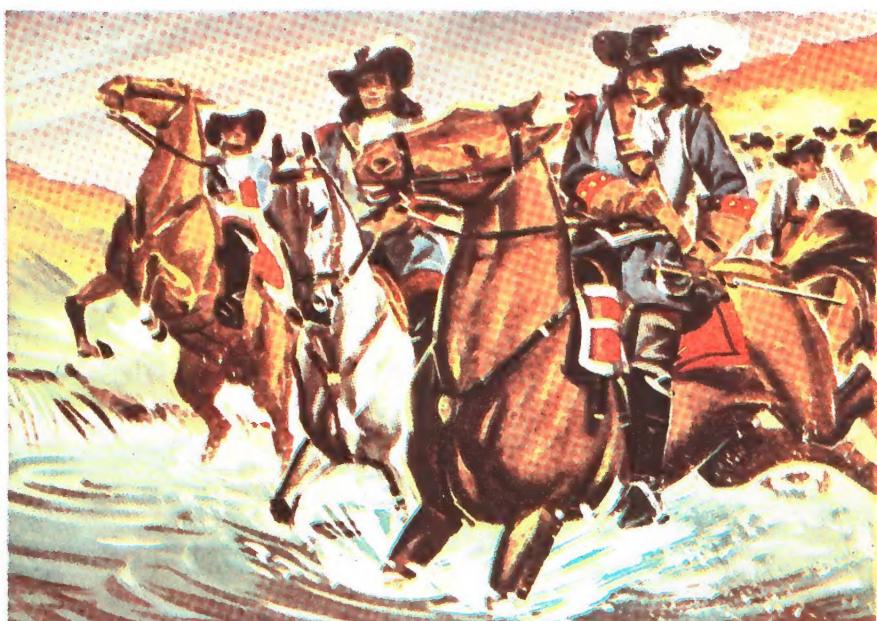
عندما بلغ الخامسة عشر ، أرسله أمه إلى هولندا لتعلم مهنة الحرب ، تحت قيادة شقيقها وخاليه موريس وفرديريك – هنري دي ناسو اللذين كانوا من القواد الممتازين . وبعد عامين ، انخرط في خدمة فرنسا ، فأُسنّد ملوكها إليه – وكان آنذاك ضابطاً شاباً لم يتعد رتبة النقيب – قيادة فيلق في الجيش الذي وجهه فيحملته على إيطاليا ، ثم في اللورين . وهناك تميز بكتفاته وقلراته ، وخاصة في حصار الموت La Motte . وقد أثار له سلوكه السوى ، وهو بعد في الثالثة والعشرين ، الترق إلى رتبة اللواء .

مارشال فرنسا

وبعد أن أصبح تورين – الذي خدم أيضاً بكل جدارة في روسيون Roussillon وإيطاليا – فريقاً في الجيش عقب ذلك بقليل ، تسلّم عصا مارشالية فرنسا في عام ١٦٤٤ وكان آنذاك قد بلغ الثانية والثلاثين ، كما أُسنّد إليه في نفس الوقت قيادة جيش حملة ألمانيا ، ذلك الجيش الذي كان يوزره كل شيء من ملابس ، ومعدات ، وخيوط . فقام تورين بسد كافة احتياجات جيشه هنا على نفقته الخاصة ، ثم عبر الراين وهزم البافاريين في دوناوشتختجن Donaueschingen إلا أنه هزم بدوره في ماريenthal Marienthal . بيد أنّ كونديه Condé وتورين سرعان ما انتقاما لنفسهما من نوردلينجين Nördlingen في عام ١٦٤٥ . وفي العام التالي أرغموا أمير بافاريا على توقيع معاهدة صلح أولم Ulm . كما أن انتصار زومرزهاوزن Sommershausen في عام ١٦٤٨ دفع بالملوك المتقدمة الفرنسية إلى ميونيخ Munich ، وحتى نهر الإين Inn . وقد وقعت معاهدة الصلح العام في مونستر Münster وفي أوزنابروك Osnabrück ، تلك المعاهدة التي عرفت بمعاهدة ويستفاليا .

أما في داخل فرنسا ، فقد اندلعت نيران حروب الفروند Fronde الأهلية ،

القوات تعبر نهر الراين



أبوظبي	٤٠٠	فنس
السعودية	٢	ريال
عدن	٥	شلنات
السودان	١٥٠	مليما
لبيا	١٥	فرشا
تونس	٣	درنات
الجزائر	٣	درهم
المغرب	٣	

- اطلب نسختك من باعة الصحف والأكتشاف والمكتبات في كل مدن الدول العربية
- إذا لم تتمكن من الحصول على عدد من الأعداد اتصل بـ :
- فوج.م.ع: الاشتراكات - إدارة التوزيع - مبنى مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ١٤٨٩
- في البلاد العربية : الشركة الشرقية للنشر والتوزيع - بيروت - ص.ب ١٦٨٩
- أرسل حواله بريديه يبلغ ١٦٠ مليما في ج.م.ع وليرة ونصف بالنسبة للدول العربية بما في ذلك مصاريف البريد
- مطبعة الأهرام - القاهرة

MEMPHI GLEGORI



الطبيب يقوم بفحص المريض (من رسم بارز روماني)

ومن بينها بحوث الطب . وقد أخذ الطب يندهور ، لدرجة أن الأطباء أنفسهم ، كانوا يلجأون للوصفات السحرية ، وللتعاويذ ، والأحجية ، لعلاج الأمراض الخطيرة . وليس من العسير علينا أن نتصور مدى النتائج التي كانوا يحرزنها !



رسم جاليينوس ، كما أمكن تصوره في عصر النهضة الإيطالية

لتعرف السبب في كل مرض ، وكان ذلك هو الهدف العظيم الذي حدده أپقراط للطب . وبفضل ذلك الرجل ، استطاع الطب أن يهتدى إلى الطريق السليم ، ويصبح علمًا بمعنى الكلمة .

مؤسس علمي انتشاره ووظائف الأعضاء

قدمت لنا اليونان ، علاوة على أبي الطب ، الرجل الذي وضع أساس علمي التشريح *Anatomy* وظائف الأعضاء *Physiology* . ذلك هو جاليينوس Galien ، الذي ولد في عام ١٣١ في برجم Pergame بآسيا الصغرى ، التي كانت مملكة الثقافة والحضارة اليونانية آنذاك .

لم تكن معرفة الشكل الخالص بأعضاء الجسم البشري وظائفها في ذلك العصر معرفة كاملة . وقد أدرك جاليينوس أنه لإمكان تقدم الطب ، لا بد من التوصل إلى معرفة دقيقة بالتشريح ، ووظائف أعضاء جسم الإنسان .

وحتى ذلك الوقت ، كان الأطباء يعتمدون على التخمين : فقد كان من المعروف به في جميع الأوساط العلمية ، أن الصوت ينبع من القلب ، وأن الشريان تحمل هواء . وقد تمكن جاليينوس من تصحيح هذه الأخطاء ، وغيرها من الأخطاء الأكثر خطورة ، وذلك بدراسة التشريح على أجسام القردة وحيوانات أخرى . وكان من الممكن أن يتوصل إلى اكتشافات عظيمة في هذا المجال ، لو أن القوانين في ذلك الوقت

مدرسة ساليرنو

إلا أن عصرية أپقراط وجاليينوس لم تكون من قلة الشأن ، بحيث تضيع تماماً في زوايا النسيان . فمجدد أن عاد المدح والاستقرار ، استقرت الدراسات ، وأعيد التأمل والبحث فيها أنتجه هذان الأساتذان . وفي القرن التاسع ، أنشئت في سالرنو Salerno بإيطاليا مدرسة الطب ، بهدف نشر المعارف التي توصل إليها أپقراط وجاليينوس . ولم يطل الأمر بتلك المدرسة حتى ذاع صيتها ، وأخذ يقصدها الطلبة من جميع بلاد أوروبا للدراسة فيها . وقد شُئ القديس ماثيو Mathieu المدرسة برعايته، ولا يزال جسمه يرقد في سالرنو . وقد ظلت هذه المدرسة تؤدي رسالتها حتى عام ١٨١١ . غير أن الطب في العصور الوسطى كان يتقدم بخطى وثيدة . وبينما ظل هذا العلم محصوراً في نطاق الذى أقامه الرائدان العظيمان ، وبينما لم يحاول أحد القيام بأى بحوث جديدة ، نجد أن العرب ، وحدهم ، كان لهم الفضل في الحفاظ على التراث الطبي اليوناني ، بل وتطويره ، وأصبحوا يعلمون أصول التقنية . وقد ظل العرب أئمة الطب والجراحة حتى نهاية القرن الخامس عشر .

التقدم العظيم في علمي التشريح ووظائف الأعضاء

يعتبر عام ١٥٤٣ نقطة بارزة في تاريخ الطب : في ذلك العام ، أصدر طبيب بلجيكي يدعى أندريل فيزال André Vésale كتاباً بعنوان « تركيب الجسم البشري » ، كان له دوى عظيم . وكانت المعلومات التشريحية التي قدمها في كتابه هذا تعتمد ، ولأول مرة ، على الأبحاث التي أجريت على الجثث مباشرة ، وتمكن من تبيان أن جاليينوس قد ارتكب العديد من الأخطاء . كذلك ، يرجع الفضل في تقديم الجراحة إلى الفرنسي أمبرواز بارييه Ambroise Paré .



رسم لأندريل فيزال (من لوحة ليتييان)

وبعد ذلك بأقل من قرن ، ظهر كتاب آخر للإنجليزي وليم هارفي William Harvey . ويعتبر هذا الكتاب بداية مرحلة هامة في تاريخ الطب . وقد أبرز هارفي في كتابه اكتشافاً مثيراً ، وهو أن مرئ الدورة الدموية هو القلب وليس الكبد، كما كان الاعتقاد سائداً حتى ذلك الوقت . وهكذا تم اكتشاف الوظيفة الحقيقة للقلب . وقد سبقه إلى هذا الكشف ابن النفيس العالم العربي الشهير .

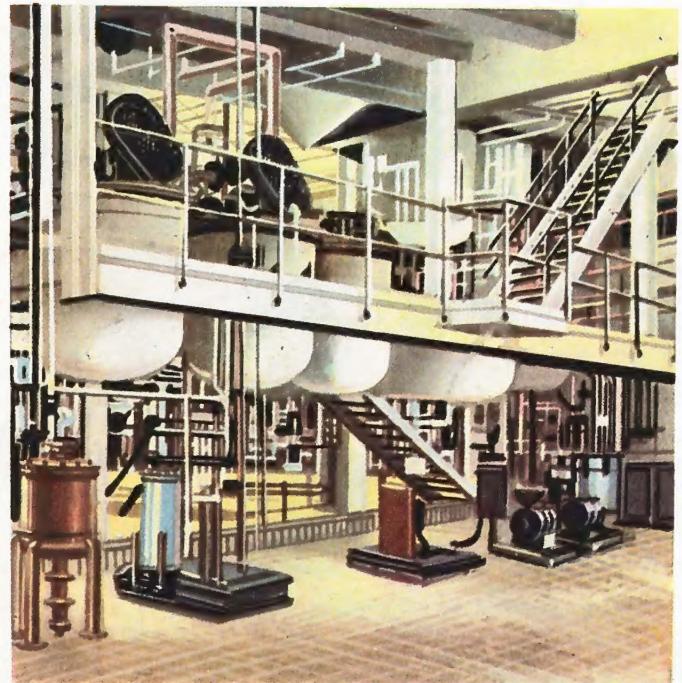
وفي نفس العصر تقريباً ، بينما كان مالبيجي Malpighi يستخدم المجهر في دراسة تركيب أنسجة أعضاء الجسم البشري ، لاحظ وجود الأوعية الدموية الشعيرية . وبعد ذلك بفترة قصيرة ، لاحظ چان باپتیست مورجانی Jean-Baptiste Morgagni ، أن الأعضاء المريضة تبدو ذات صفة تشريحية مختلفة عن الأعضاء السليمة . وهكذا كان علما التشريح وظائف الأعضاء يسرعان الخطي ، جنباً إلى جنب ، في سبيل التقدم .

- الدولة الاموية .
- مدن فرنسا الكبيرة .
- الشّتاء .
- الأنواع المختلفة من الخشب .
- قلعت الأشجار .
- تجارة الصوف الأخضرني في العمور والوسيطى .
- شيئاً : الكفاح من أجل الاستقلال .
- بوربون شابونى .
- تسمية الأنهار .
- ستوريان .

" CONSCERE "

1958 Pour tout le monde Fabbri, Milan
1971 TRADEXIM SA - Geneve
autorisation pour l'édition arabe

الناشر: شركة ترادكسم شركة مساهمة سويسرية "بيجيت"



منظر لمنشأة جديدة لتحضير البنسللين الذي اكتشفه فلاديمير عام 1929

بعض المصطلحات الطبية

التشريح Anatomy ، وهو العلم الذي يدرس تكوين أعضاء الجسم البشري . دراسة الأنسجة Histology ، وهو جزء من علم التشريح ، يدرس التركيب المجهري للأنسجة التي تتكون منها الأعضاء . **علم الأمراض Pathology** ، وهو العلم الذي يبحث في أسباب الأمراض ، وسيرها ، وتأثيرها . **علم وظائف الأعضاء Physiology** ، وهو العلم الذي يدرس وظائف أعضاء الجسم . **مارس عام General Practitioner** ، وهو الطبيب الذي يعالج أمراض جميع الأعضاء . **إخصائي Specialist** ، وهو الطبيب الذي يعالج الأمراض التي تصيب عضواً محدداً . **مشاورة (كونسلتو)** ، وهي زيارة التي يقوم بها طبيب أو أكثر للتشاور فيها لاكتشاف المرض الذي يعاني منه المريض . **التسمع Auscultation** ، وهو فحص الأعضاء الداخلية بواسطة الأذن أو المساع . **المسماع Stethoscope** ، وهو جهاز يستخدمه الطبيب في التسمع . **تذكرة (روشتة) Prescription** ، وهي الورقة التي يكتبها الطبيب شاملة الأدوية التي يتعين تناولها . **كشف حساب الطبيب Note** : ويتضمن قيمة الأتعاب المستحقة له . **عيادة Clinic** ، المكان الذي يزاول فيه الطبيب مهنته . **أعراض Symptoms** ، الظواهر الخاصة التي يسببها المرض . **علم الأعراض Semeiology** ، وهو العلم الذي يدرس علامات المرض . **سر المرض** ، أي مراحل تطور المرض . **تشخيص Diagnosis** ، التعرف على حقيقة المرض . **التنبؤ Prognosis** ، تقدير الطبيب بتطور المرض وسيره . **علاج Therapy** ، مجموعة الوسائل المستخدمة لعلاج المرض . **تشريح Autopsy** ، وهو فحص الأعضاء الداخلية في جسم المتوفى ، بقصد التعرف على سبب الوفاة .

طب لا يزال الطريق طويلاً

أصبحت أوروبا في القرن السابع عشر بوباء الطاعون الفظيع . وقد تبين للجميع ، في ذلك الوقت ، أن الطب لا يزال أمامه طريق طويل . فالرغم من الاكتشافات العظيمة التي أشرنا إليها ، بدا الطب عاجزاً عن إيقاف هذا الوباء الويل ، الذي راح ضحيته أكثر من نصف مليون شخص . وفي بداية القرن التالي ، تسبب فيروس آخر ، وهو فيروس الجدري ، في موت آلاف وآلاف .

ترى ماذا كان السبب الخفي وراء تلك الأوبئة ؟ وإذا ما عرفنا السبب ، فهل نستطيع أن نهرب إلى سهولة إلى الطريقة التي نقضى بها عليها ؟ تلك كانت التساؤلات التي أخذت تشغل أذهان العلماء في ذلك العصر .

انتصارات عظيمة

انتهى القرن الثامن عشر باكتشاف طب عظيم . الواقع أنه في عام 1796 تمكّن جينير Jenner من تخلص الإيبستانية من الجدري . وفي نفس العصر ، قام بيشار Bichat ، الطبيب بمستشفي باريس الخيري ، بنشر أبحاثه الرئيسية في مجال التشريح ووظائف الأعضاء . وجاء القرن التالي زاخراً بسلسلة ضخمة من الانتصارات البارزة . فيفضل أبحاث وتجارب لويس باستير Louis Pasteur ، أصبح معلوماً أن معظم الأمراض الخطيرة تسبّبها كائنات مجهرية ، سميت بالجراثيم المسيبة للأمراض .

ولم يتوقف باستير عند هذا الاكتشاف الحيوي ، فقد عرف كذلك طريقة التغلب على مرضين فظيعين : داء الكلب والجمرة الخبيثة . وجاء في أثره علماء آخرون ، جاهدوا في سبيل التوصل إلى كشف الجراثيم التي تصيب الإنسان ، وإبطال ضررها .

وينها ييل أنهاء بعض هؤلاء العلماء ، وأمام كل منها اسم الجرثومة التي اكتشفها :

اسم العامل اسم الجرثومة المكتشفة

روبرت كوخ Robert Koch	السل والكولييرا
إدوارن كليبيز Edwin Klebs	(سويسري)
جييرارد هانسن Gerard Hansen	الجزام
كارل إبيرث Karl Eberth	(روسي)
ألبرت فريينكل Albert Fraenkel	الالتهاب الرئوي
أ. نيكلولير A. Nicolayer	(الإنجليز)
ألكسندر يرسن Alexandre Yersin	الطاعون

وبعد أن تمكّن الباحثون من تحديد الجرثوم ، أخذوا يعملون بحماس في دراسة وسائل علاج الأمراض التي تسبّبها .

والليوم أصبحت تلك الأمراض الخطيرة لا تخيفنا ، بعد أن كان الاعتقاد سائداً بأنها أمراض غير قابلة للشفاء ، وذلك حتى سنوات قليلة مضت . فإذا ما ظهرت هذه الأمراض الآن ، فإن استطاعتنا إيقافها بفضل أدوية فعالة . ومن جهة أخرى يمكننا تجنبها ، باستخدام مستحضرات خاصة (المصل واللقاح) .



رسم لروبرت كوخ (1843 - 1910)